

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الطفل في الإسلام

تأليف :
محمود الشرقاوي

السنة الثانية عشرة
شعبان ١٤١٤هـ - العدد ١٤٠



مقدمـــــة

الطفولة هى المستقبل ، فأطفال اليوم هم رجال الغد ونساؤه . وقد اتفقت جميـع الشرائع السماوية علـى ضرورة رعاية الاطفـال والاهتمام بهم لانهم نواة المجتمع الفاضل .

والمجتمـع البشـرى يتحدد ويمتـد بقـاؤه مـن خلال ذريتـه مـن الاطفال فهـذه الذرية هـى ماضيه وحاضـره وتطلعاته نحـو المستقبل . ولما كـانت الطفـولة تنبـىء بما سيكون عليـه الحال فـى مرحلـة الكبر فدائمـا ما تكـون مؤشـرا دقيقا لنوعيـة الحياة وتعبيـرا عن القيـم والآمال والامانى الفردية والجماعية وتشكل صورة مباشرة لعالم الغد .

وقد أوجب الاسـلام العناية بالطفـل وهو جنين فى بطـن أمه وحرم إيـذاءه أو إلحـاق الضـرر بـه بـأى شكل مـن الاشكـال بمـا فـى ذلـك الاجهاض .

وعند مـولده يحتفى به ويكـرم ومن مظاهـر هذا التكريم مـا يعرف «بالعقيقة» وهى شاة تذبح له فى اليوم السابع احتفاء بمولده .

واعترف الاسلام بحقوق الطفل منذ لحظة خروجه حيا الى الدنيا ، فأوجب له حق الميراث كالكبير، كما أوجب اختيار أحسن الاسماء له .

و إذا كـان الاسلام قـد حـرم قتلـه قبل خـروجـه الـى الدنيـا فمـن الطبيعى أن يمتد هـذا التحريم الى ما بعـد خروجه اليها . قـال تعالى : ﴿**ولا تقتلوا أولادكـم خشية إمـلاق نحن نـرزقهم و إيـاكم ان قتلهـم كان خطئا كبيرا**﴾ (الاسراء : ٣١) .

ومن أهم الاشياء التى أوجبها الاسلام للطفل حق الرعاية والتربية حتى ولو كان الطفل لقيطا أو منبوذا. فقد أوجب الاسلام تربية اللقيط أو المنبوذ ورعايته والاحسان إليه حتى يكبر.

وقد أجمع الباحثون فى سنن العمران ورقى الانسان على ان التربية القويمة والتعليم الصحيح هما الوسيلة العظمى لارتقاء الامة فى معارج الحضارة وبلوغها ما تطمح إليه فى الآمال الكبار، لذلك كان من أهم واجبات الامة التى تجعل هذا الهدف الاسمى، والسعادة العظمى نصب عينيها أن تكل أمر أبنائها وتعليمهم الى من يطبعون فى فطرة النشء أصول الفضائل وآداب الشريعة، ويهذبون عواطفه ويرقون شعوره، أما إذا وسد أمر التعليم الى غير ناصح ولا أمين ألم بمزاج الامة ما يضعفه، وينمى جراثيم الداء فيه فتزداد الامة مرضا، حتى تكون حرضاً، أو تكون من الهالكين.

التربية الدينية عماد الفضائل، والمعلمون خلفاء الرسل فى تعليمهم وأخلاقهم، فمن شأنهم أن يكونوا من أكمل البشر وأفضلهم، اذ هم القدوة الصالحة التى ينشدها الطلاب، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمالهم، لا من الكتب التى يدرسونها فحسب، ويجب ألا يرى الطلاب عليهم مآخذ يتمسكون بها، اذ بهم يقتدى، وبهديهم يهتدى، وليذكروا قول المعلم الاعظم ﷺ **(من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة)**.

وقد جمعت التربية الاسلامية منذ ظهور الاسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، فهى تعنى

بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية، دون تضحية بأى نوع منها على حساب الآخر، فمن المعروف أن النبى الكريم ﷺ افتدى أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة. ومن وصايا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يعلم المسلمون أبناءهم السباحة والرماية.

ومن حق الطفل فى الاسلام أن ينشأ فى بيت يعمره الايمان ويسود فيه التفاهم العقائدى بين الابوين ا.

ويجب أن يحاط الطفل فى البيت بمن يكونون خير قدوة له فى القول والعمل.

ودعا الاسلام الى تدريب الاطفال على القيادة والتدريب والى معرفة الحلال والحرام. قال تعالى ﴿**يابنىَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الارض يأت بها الله، ان الله لطيف خبير، يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور**﴾ (لقمان: ١٦ — ١٧).

كذلك دعا الاسلام الى أن يبتعد الاطفال وهم صغار عن مظاهر الترف والتخنث وحياة الميوعة ليشبوا رجالا يمكن الاعتماد عليهم فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنا عند عبد الله بن مسعود فجاء ابنه عليه قميص من حرير فقال: : من كساك؟ قال: أمى. فشقه. وقال له: قل لامك تكسك غير هذا).

وللطفولة فى الاسلام عالمها الجميل الملىء بالبهجة والجمال والاحلام والسعادة والحب. وحديث القرآن الكريم عن الطفولة يغيض

بالمودة والنبل. فالله يقسم بالطفولة ﴿**لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وما ولد**﴾ (البلد: ١ — ٣).

والاطفال بشرى:

﴿**يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا**﴾ (مريم: ٧).

وهم قرة عين:

﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ (الفرقان: ٧٤).

وهم زينة الحياة الدنيا:

﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ (الكهف: ٤٦).

ورعاية الاطفال واجبة فى الاسلام، وبذل الجهود فى هذا المجال من الاعمال التى يثاب عليها الانسان من عند الله ويجزى عنها خير الجزاء.

***

وهذا الكتاب الذى أقدمه للقارىء العزيز — يتحدث عن الطفل فى الاسلام: مولده ونشأته وتربيته، وحقوقه التى كفلها له الدين الحنيف، حتى يخرجون من بيوتهم على المجتمع وهم على خلق ودين يعمولن باخلاص لهم ولغيرهم، ولا يصدر منهم الا الخير، ولا يعرفون رقيبا على أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم إلا الله لان رضاءه والفوز بالسعادة الدائمة فى الحياة الآخرة هو مجمع همهم فى هذه الحياة الدنيا.

وأرجو أن أكون قد وفقت الى ما قصدت إليه، والله تعالى ولى التوفيق!

محمود الشرقاوى

بناء الأسرة

حث الاسلام على تكوين الاسرة ودعا الى أن يعيش الناس فى ظلالها، فهى الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التى تلبى رغائب الانسان وتفى بحاجاته.

وهى الوضع الفطرى الذى ارتضاه الله لحياة الناس منذ فجر الخليقة.

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾. (الرعد: ٣٨).

فحياة الانسان فردا فذا، يهجر فى صحراء الحياة، ويواجه مفردا أجواءها الغائمة، أمرا لا يراه الاسلام ولا يرضاه.

لان فى فطرة الانسان الحاجة الى الاسرة وجوها الظليل، وفى طبيعة الحياة أنها لا تواجه بالجهد المفرد بل تحتاج الى تناصر القوى وتبادل المشاعر، والتعاون على حمل الاعباء ومواجهة المصاعب، مما لا يفى به إلا الاسرة.

وفى دعوة الاسلام الى الاسرة وترغيبه فيها تبرز لها وظائف، وتظهر ثمرات ذات أثر فعال فى حياة الفرد والمجتمع، اذ هى نعمة من نعم الله وآية من آياته هيأها للعباد واختارها لهم لتستقر بهم الحياة وتصفو أكدارها.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢١).

ان المشاعر والعواطف التى تنمو فى جو الاسرة غذاء لاتستغنى عنه النفس مما يجعل الاسرة نعمة ورحمة تقى التعاسة والشقاء، ويجعلها فضلا من الله كالطيبات من الرزق.

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات﴾ (النحل: ٧٢).

والانسان مفتقر الى تلك النعمة فى مراحل عمره جميعا.

فالطفل لابد له من النشأة فى أسرة والا نما منبوذ العواطف، شاذ السلوك وحاجته الى أمه وأبيه حاجة أصيلة، لايغنيه عنها رعاية أخرى — كذلك يحتاج الانسان الى الاسرة شابا ورجلا وكهلا، لايجد رعاية فى غيرها، ولاترضى فطرته بديلا عنها، فيظل مفتقرا أبدا الى حماها، متعطشا الى عواطفها ومشاعرها.

وللاسرة كذلك وظائفها الخاصة فى ميدان التربية لايغنى غناءها عامل آخر[1] فهى العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة فى المراحل الاولى للطفولة. وليست دور الحضانة بقادرة على أن تعوض للطفل ما يحرمه اذا حرم من حياة المنزل بما فيها من جو روحى تنمو فيه البذرة الأولى للشخصية الانسانية وتزدهر حتى تبلغ النضج وتشع بروح مقدسة تكمن فى أعماقها.

ان دور الحضانة التى يشرف عليها موظفون تعينهم الدولة تعنى

---

(١) مصطفى عبد الواحد: الاسر فى الاسلام — دار العروبة. القاهرة ١٩٦١ ص ١١ — ١٢.

بنمو العظـم واللحم ولكنها تهمـل نمو الـروح . ويصف الدكتـور «هـ . أولدهام» الحياة المنزليـة بقوله «فى جو الحياة المنزلية يقـدر كل فرد كما هو فـى حقيقته لا على أسـاس من مقدرتـه . والعمل لا يشغل فـى الفرد سوى زاويـة واحدة فى شخصيتـه ولكن الحب العائلـى يرضى فـى كل شخص جميـع جوانبه النفسيـة . العائلة مدرسـة تتربى فيهـا الشخصية فى جـو من التقديـر والفهم وتتعود علـى ضبط النفس والتعـاون . وهى كذلك ميـدان يتدرب فيه الفرد علـى تحمل المسؤولية وعلـى التضامن مع سواه فـى قبول الالتزامات المشتركـة ، ومن ثم فإنهـا وسيلة لتكييف أفرادهـا بحيث يكونـون صالحين للمسـاهمة فـى الحياة الواسعـة التى تحياها الجماعة[1] .

الأسرة أصل :

والاسرة أصل راسخ من أصول الحياة البشرية .

ومن هنـا يعد الهجـوم على الاسـرة فى هـذا العصر نـزعة طـائشة تحـاول مسـخ الفطـرة واخفـاء الحقيقة . وذلـك لان الحيـاة العـائليـة المنظمة رمـز ناطق للمجتمع السليـم ولن يتم القضاء علـى الاسرة دون أن يكون لذلك أسوأ الاثر، فكم مـن الحضارات قد اندثرت حين تحلل فيها نظام الاسرة .

ولقد اعتبرت الحياة الـزوجية عند الاغريق القدماء أمـرا تافها فكان اللقاء بين الرجل والمرأة لاشباع غريـزة الجنس أمرا عابرا وكانت النتيجة

---

(١) ميرزا محمد حسين : الاسلام والاشتراكية ترجمة د . عبد الرحمن أيوب ص ٢١٦ .

أن تحطمت حضارة الاغريق كذلك سقط الرومان من قمة مجدهم عندما أهملوا العناية بحياتهم المنزلية واعتبروا الحياة فرصة للمتاع واشباع الشهوات الجنسية .

ومن نتائج تحطيم الاسرة كذلك الهبوط بالمستويات العقلية ، وتضييق الفرص أمام نشأة النابغين لان الاسرة هى المهد الذى تشيع فيه فضيلة التعاون والتساند . وفيها يتعلم المرء كيف يلائم بين نفسه وبين سواه . ويقول «برتراندارسل» فى كتابه (مبادىء الاصلاح الاجتماعى) (مادام الاطفال يعيشون بين أمهاتهم وآبائهم فإنهم يتخذونهم مثلا يحتذونه فى سلوكهم ويتعلمون منهم الكثير فى طفولتهم المبكرة مما يكون له عظيم الاثر فى نمو شخصيتهم) .

ولذلك كانت العناية بتقوية الاسرة من أهم ما يجب على المصلحين رعايته ، وأخذ الطريق إليه ، ولا يكون ذلك الا بتوخى المبادىء القويمة التى يشاد عليها صرح الاسرة ، وتضمن بقاءها ونموها ، قوية مثمرة .

والزواج هو حجر الاساس ، والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الاسرة . يقول الله تعالى **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** (الروم : ٢١) .

امتن الله تعالى بهذه النعمة التى أنعمها على عبا ده ، مبتدئا ذلك بالتنبيه الى أنها آية من آياته ، مبينا الغاية والفائدة التى تعود عليهم منها وهى «السكن» أى الامن الذى يرفرف على كل من الزوجين ، والثقة المتبادلة التى من شأنها أن تجعل كلا منهما مطمئنا الى صاحبه ، ساكنه اليه ، مستسلما استسلام من يأوى الى سكنه ، ثم المودة «وهى صلة الحب والجاذبية الطبيعية التى يربط بها بين الزوج وزوجته فيجعل

كلا منهمـا سعيدا بصـاحبه، يجـد أكبر المتـاع والسرور فـى قربـه، ثـم «الرحمة» التى تكون نتيجة لهذا السكـن، ولتلك المودة، وهى العاطفة التى لا تكمل سعـادة الانسان الا اذا أحس بأن له نصيبا منهـا فى انسان بجـانبه، يحنـو عليه، ويشـاركه سـراءه وضراءه، ويحتمـل معه أثقـال الحياة راضيا طيب النفس.

هذه هى «الزوجية» وتلك مكانتهـا فى سنة الله، وفى حكم الخلق والتكوين. ولذلك يعتبر الله تعالى هـذه الرابطة العظمى رابطة مقدسة، والقرآن الكريم يسمـى رابطة الزوجية «عقدة النكاح» اشعـارا بأنها رابطة وثيقة يجـب الحرص عليها. ثـم ان القرآن يصـف رابطة الزوجيـة أيضا بأنهـا «ميثاق غليـظ» حيث يقـول فى شـأن الزوجـات ﴿**وأخذن منكـم ميثاقا غليظا**﴾ مع أنه يستعمل لفظ الميثاق فى عهد الله تعالى بينه وبين خلقه، وبينـه وبين رسلـه، وفى العهـود التى يـأمر بـرعايتهـا عامـة بين الناس بعضهـم وبعض، ومما جـاء فى هذه الاستعمـالات قوله تعـالى ﴿**واذكروا نعمـة الله عليكم وميثـاقه الـذى واثقكم بـه، اذا قلتم سمعنـا وأطعنا**﴾ (المائدة: ٧)

﴿**واذ أخـذ الله ميثاق النبييـن لمـا آتيتكم مـن كتـاب وحكمة ثـم جاءكـم رسول مصـدق لما معكـم لتؤمنـن به ولتنصـرنه**﴾ (آل عمران: ٨١).

بل جاء التعبير بلفظ «مياثقا غليظا» فـى شأن المواثيق التى أخذها الله تعالى على جميع أنبيائه، اذ يقول الله تعالى فى سورة الاحزاب:

﴿**واذ أخذنا مـن النبيين ميثاقهم ومنـك ومن نوح وابراهيـم وموسى وعيسى ابن مريم، وأخذنـا منهم ميثاقا غليظا**﴾ (الأحزاب: ٧) (فالتقاء

التعبير بقوله تعالى «ميثاقا غليظا» فـي شأن الزوجية وشأن النبوة والرسالة له ايحاؤه العظيم بقداسة هذه الرابطة. وأن هذه القداسة قد وصلت فى نظر القـرآن الى حد أن يعبـر عنها بلفظ يستعمـل فى أعظم المقـدسات الالهية وهو عهد الله تعالى الى أنبيائه أجمعين.

ترغيب ودعوة :

أمر الله تعالى بالزواج فى مواطـن كثيرة من الكتاب الكريم، وأشار فيه بالقول الجامع الحكيم الى مقـاصده، وشجع الهيابين على الاقدام عليه، ونهى عن وضع العقبات فى طريقه.

قال الله تعالى **﴿ومن لم يستطع منكـم طولا أن ينكح المحصنات المـؤمنات فمـا ملكـت أيمانكـم مـن فتياتكـم المـؤمنات، والله اعلـم بإيمانكم، بعضكم من بعض﴾** (النساء: ٢٥).

وقال جل شأنه:

﴿وأنكحوا الأيـامى منكـم والصالحيـن من عبـادكم وامـائكم، ان يكونوا فقـراء يغنيهم الله من فضله، والله واسع عليم، وليستعفـف الذين لا يجدون نكـاحا حتى يغنيهـم الله من فضلـه، والذين يبتغـون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا، وآتوهم من مال الله الذى آتـاكم. ولا تكرهـوا فتياتكـم على البغاء، ان أردن تحصنـا لتبتغوا عرض الحيـاة الدنيـا، ومن يكـرههن فـإن الله من بعـد اكراههـن غفور رحيم﴾ (النور: ٣٢ — ٣٣).

حيث أمرت بتزويج الايامى «غير المتزوجين من الاحرار والعبيد والرجال والنساء ونهت عن جعل الفقر مانعا من المضى فى هذا الامر. ونددت بمنع تزويج الفتيات ابتغاء استمرار الانتفاع المادى بهن، ولاسيما اذا بدت منهن الرغبة فى التزوج ونبهت على ما يمكن أن يكون فى هذا المنع من أسباب ارتكاسهن فى البغاء، وأباحت تزويج الاماء بالاحرار الفقراء، لان ذلك أرفق بهم من الناحية الاقتصادية وأيسر لزواجهم، وينطوى فى هذا كله، كما هو المتبادر، هدف الوقاية من الغواية من جهة، والدعوة الى انشاء الاسرة التى ينتظم بها أمر المجتمع وقوى نشاط أفراده بما يحملونه من مسؤوليات، ويكثر نسل المسلمين الذى به قوام قوتهم وعزتهم من جهة أخرى وفى هذا ما فيه من الحكم البليغة والمرامى السامية[1].

ورسول الله ﷺ — وما ينطق عن الهوى — قد أكثر من الامر بالزواج والحث عليه. وأكد أن عون من يبتغيه حق على الله تعالى وفاخر بأنه سنته، وأعلن براءته ممن يرغب عنها، أو يتركها خوفا من الفقر والعيلة. يقول الرسول الكريم: **(تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الامم يوم القيامة)** (سنن ابن ماجه).

والزواج هو الراحة وسط متاعب الحياة للرجل والمرأة على السواء. راحة الانسان الذى يسير فى مدارج الكمال. وليس المقصود بالراحة هو الاستقامة الى المتع والملذات والبعد عن التبعات. ولذلك ذكر الامام الغزالى فى الاحياء أن من فوائده (مجاهدة النفس ورياضتها

---

(١) محمد عزة دروزة: الدستور القرآنى فى شؤون الحياة. دار احياء الكتب العربية القاهرة. ص: ٢٤٧

بالرعاية والولاية والقيام بحق الاهل والصبر على أخلاقهن، واحتمال الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه أعمال عظيمة فإنها رعاية وولاية، والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم[1].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: قلب شاكر ولسان ذاكر وبدن على البلاء صابر، وزوجة لاتبغيه حوبا فى نفسه وماله**» (رواه الطبرانى).

وروى ابن عبد البر أن الرسول سأل عكاف بن وداعة الباهلى: **ألك زوجة؟** قال: لا. قال: **ولا جارية؟** قال: لا. قال: **وأنت صحيح موسر.** قال: نعم والحمد لله — فقال له الرسول: **أنت اذن من اخوان الشياطين اما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم، واما أن تكون منا فاصنع كما نصنع، وان من سنتنا النكاح. شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم، ويحك ياعكاف تزوج.** فقال عكاف: يارسول الله لا أتزوج حتى تزوجنى من شئت فقال الرسول: **فقد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميرى**»[2].

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال: جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا تقالوها — وجدوها قليلة — فقالوا: أين نحن من النبى، فقد غفر له ما تقدم من

---

(١) ابو حامد الغزالى: احياء علوم الدين كتاب آداء النكاح ص ٧٠٠.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الصحاب جـ٣، ص ١٦٩.

ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فانى أصلى الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء النبى ﷺ فقال: **أنتم قلتم كذا وكذا!** قالوا: نعم. قال: **أنا والله أخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى)**.

فالزواج اذن من سنة الاسلام، وتكاثر المسلمين من أهداف الزواج، فكل من بلغ سن الزواج وكان قادرا عليه فى ماله وبدنه وجب عليه أن يتزوج، فيحصن بالزواج نفسه من مزالق الهوى، ويقيم أسرة تزيد فى قوة المجتمع الاسلامى.

تكوين الأسرة:

وتبدأ مرحلة تكوين الاسرة من اللحظة التى يشعر فيها الرجل بحاجته الى زوجة تشاركه حياته، وتحمل معه أعباؤها.

وحينئذ يبدأ باختيار من تصلح له وتسعده.

وهذه خطوة هامة من خطوات التكوين، فعليها يتوقف نجاح الاسرة في مهامها او فشلها لذا لا يترك الاسلام فيها الانسان لنفسه، بل يحيطه بالارشاد والتوجيه، حتى يصل الى شاطىء الأمان وجني الطمأنينة وحسن العاقبة.

فالزوجة المحمودة هي التي تلبي مطالب الزوج جميعا والتي تتوفر فيها صفات الانسانية الفاضلة الى جوار اوصاف الأنوثة المرغوبة، وتلك هي الكفيلة باستقرار الأسرة.

ومبنى الاختيار اعتبار سلامة العقيدة، والخلق، قبل اعتبار الانوثة والجمال. قال تعالى ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم. أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة**﴾ (البقرة: ٢٢١).

وقال رسول الله ﷺ «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك**» (البخارى).

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «**من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه**).

وبالمقابل أرشد النبي الكريم أولياء المرأة أن يبحثوا عن الرجل ذي الدين والخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد. روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

وانظر المقابلة اللطيفة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ فان فيها اشعارا بيناً بأن من الحق على كل من الزوجين أن يختار لنفسه مايناسبه حتى يتم الأنس والوئام المنشود في الحياة الزوجية الصالحة، ولو كان الاختيار من جانب الزوج فقط لوقع الاكتفاء بالجملة الأولى فقط من هاتين الجملتين من غير

احتياج الى ايراد العبارة الثانية، فـان عبارات القرآن الكريم ليست مجرد اخبار خال عن التوجيه والارشاد [1].

ومن القواعد التـي وضعها الاسلام في اختيار أحد الـزوجين للآخر ان يكون الانتقـاء لشريـك الحياة من أسـرة عرفـت بالصـلاح والتقوى، والخلق الكريم.

روى الدارقطني، عن أبي سعيـد الخدري مرفوعا «**اياكم وخضراء الدمن**، قالوا: وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: **المرأة الحسناء في المنبت السوء**».

وروى ابن عـدى، عن عـائشة رضـي الله عنهما مـرفوعـا «تخيروا لنطفكم فـان النساء يلـدن أشباه اخوانهـن» وفي روايـة «اطلبوا مـواضع الاكفاء لنطفكم، فان الرجل ربما أشبه أخواله».

ان هذا الاختيار الذي وجـه اليه الرسول الكريم، يعـد من الحقائق العلمية، والنظـريات التـربويـة في العصـر الحديـث، فقد أثبـت علم الوراثـة ان الطفل يكتسب صفات أبـوية الخلقية والجسميـة والعقلية، منذ الـولادة. فعندما يكـون اختيار الزوج أو اختيـار الزوجة علـى أساس الصلاح والتقـوى فلا شـك أن الأولاد ينشؤون على خيـرماينشئـوون من العفة والاستقامة والطهر.

وعندما يجتمـع في الولد عامل الـوراثة الصالحة، وعامـل التربية الصالحة، يصل الولد الى القمة في الدين والخلق.

---

(١) محمـد سلام مـدكور: الـوجيز لاحكـام الاسرة فـى الاسلام — دار النهضـة العربيـة ١٩٧٥ ص٨.

الابناء:

النسل هدف أصيل من أهداف الحياة الزوجية .

وهو رغبة لها جذورها في نفس الرجل وفي نفس المرأة على السواء . فكل انسان يرغب في بقاء اسمه ودوام أثره .

والقرآن الكريم يجعل المباشرة معللة بقصد النسل ، اذ هو أثرها اللازم في الغالب **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** (البقرة : ٢٢٣) .

والحرث هو موضع البذر والانبات .

وقد عد الاسلام الأولاد زينة تبهج الحياة وتحقق السعادة .

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف : ٤٦) .

وعدهم تارة أخرى نعمة عظيمة تستحق شكر الواهب المنعم .

﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ (الاسراء : ٦) .

وعدهم ثالثة قرة أعين ان كانوا سالكين سبيل المتقين .

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما﴾ (الفرقان : ٧٤) .

الى غير ذلك من هذه الآيات القرآنية التي تصور عواطف الأبوين نحو الأولاد وتكشف عن صدق مشاعرهما ومحبة قلبيهما ، تجاه أفلاذ الأكباد ، وثمرات القلوب .

الأحكام العامة للمولود

بين الاسلام كل مايتصل بالمولود من أحكام ومايرتبط به من مبادىء تربوية قويمة، حتى يكون الأب على بينة من الأمر في كل واجب يقوم به تجاه طفله الوليد.

يستحب للمسلم أن يبادر الى مسرة أخيه المسلم اذا ولد له مولود، وذلك ببشارته وادخال السرور عليه، وفي ذلك تقوية للأواصر، وتمتين للروابط، ونشر لأجنحة المحبة والألفة بين العوائل المسلمة، فان فاتته البشارة استحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد.

والقرآن الكريم ذكر البشارة بالولد في مناسبات عدة. قال الله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام:

﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما. قال سلام. فما لبث أن جاء بعجل حينذٍ. فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة. قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب﴾ (هود: ٦٩-٧١).

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام:

﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى﴾ (آل عمران: ٣٩).

اما فيما يتعلق بالتهنئة بالمولود. فقد روى الامام ابن القيم الجوزية في كتابه «تحفة المولود» عن ابي بكر بن المنذر انه قال: روينا

عن الحسن البصري : ان رجلا جاء اليه وعنده رجل قد ولد له غلام ، فقال يهنئك الفارس : فقال الحسن : مايدريك أفارس هو أم حمار؟ قال الرجل : فكيف نقول؟ قال : قل (بورك لك في الموهوب ، وشكرت الواهب ورزقت بره ، وبلغ أشده) .

وهذه البشارة والتهنئة ينبغي أن تشمل كل مولود ، سواء أكان ذكرا أم انثى دون تفريق .

ومن الاحكام التي شرعها الاسلام للمولود ، التأذين في أذنه اليمنى والاقامة في أذنه اليسرى ، وذلك حين الولادة مباشرة ، فقد روى أبوداود ، عن أبي رافع أنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة) .

ويوضح ابن القيم الجوزيه في كتابه (تحفة المودود) سر التأذين والاقامة . فيقول (أن يكون أول مايقرع سمع الانسان كلمات النداء العلوى المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول مايدخل بها في الاسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين الى قلبه ، وتأثره به وان لم يشعر) .

ومع مافي ذلك من فائدة أخرى : وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيسمع شيطانه مايضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفيه معنى آخر : وهو أن تكون دعوته الى الله والى دينه- الاسلام والى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر

الناس عليها، سابقة على تغيير الشيطـان لها ونقله عنها، الى غير ذلك من الحكم.

وهـذه المعانـي التي أفـاض فيها ابـن القيم، دليـل على اهتمـام الرسول الكريـم بعقيدة التوحيـد والايمان ومطاردة الشيطان والهوى، من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا ويتنسم نسائم الوجود.

ويستحب تحنيك المـولود عقب الولادة. والتحنيـك معناه مضغ التمرة، ودلك حنك المولود بها، وذلـك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع فـي فم المولود ثـم تحريكه يمينـا وشمالا بحركة لطيفـة، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغـة، وان لـم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة.

ولعل الحكمة فـي ذلك تقوية عضـلات الفم بحركة اللسـان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ حتى يتهيـأ المولود للقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي، وحالة طبيعية.

وقد جـاء في الصحيحين فـي حديث أبي بـردة، عنْ أبي مـوسى رضي الله عنــه قال: ولد لـي غلام فأتيت بـه النبي ﷺ فسماه ابـراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه الي).

ويستحب حلـق رأس المولـود يوم سـابعه والتصـدق بوزن شعـره فضة على الفقراء. والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين:

الأول: حكمة صحية: لأن في إزالة شعر رأس المـولود تقوية له، وفتحها لمسام الرأس، وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع [٧].

الثاني: حكمة اجتماعية لأن التصدق بوزن شعره فضة، ينبوع من ينابيع التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

---

(١) ابن القيم الجوزية: تحفة المودود.

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب الحلق، والتصدق بوزن الشعر فضة. ماروى عن الامام مالك في الموطأ عن جعفر عن أبيه قال: وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر الحسن والحسين، وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة.

وذكر ابن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر، عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، قال: عق رسول الله ﷺ عن الحسن شاة، وقال: يافاطمة أحلقي رأسه، وتصدقي بزنة شعره فضة، فوزنته، فكان وزنه درهما او بعض درهم.

تسمية المولود

من العادات الاجتماعيــة المتبعة، أن المولود حين يولـد يختار له أبواه اسماً يعرف به، ويتميـز لدى القاصي والداني به، وقـد اعتنى الاسلام بهذه الظاهرة، ووضع من الأحكام مايشعر بأهميتها والاعتناء بها.

روى أصحاب السنـن عن سمـرة قال: قـال رسول اللهﷺ: (**كل غلام رهين بعقيقته، تذبح عنه يـوم سابعه، ويسمى فيه ويحلق رأسه**).
فهذا الحديث الشريف يقضي أن تكون التسمية في اليوم السابع.

وهناك أحـاديث أخـرى صحيحة تفيـد أن تكون التسميـة في يـوم الولادة منها:

روى البخاري ومسلـم عن سهل الساعـدى قال: أتى المنـذربن أبي اسيـد الى رسول الله ﷺ حيـن ولد، فـوضعه النبي ﷺ علـى فخذه وأبو أسيد جالس، فلهى النبي ﷺ بشيء بين يـديه، فأمر أبو اسيد بابنه فاحتمل من على فخذ النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ **أين الصبي**، فقال أبو أسيد. قلبناه يارسول الله (أي ارجعناه) فقال: **ماسمه؟** قال: فلان، قال: **لا ولكن اسمه المنذر.**).

وفي صحيـح مسلم من حـديث سليمان بـن المغيرة، عن ثـابت عن أنـس رضي الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ (**ولد لـي الليلة غـلام فسميته باسم أبي ابراهيم**).

فيـؤخذ مـن هذه الأحـاديث، أن فـي الأمـر سعة، فجـاز تعريفـه وتسميته في اليوم الأول مـن ولادته، وجاز التأخير الى ثـلاثة أيام، وجاز الى يوم العقيقة وهو اليوم السابع، وجاز قبل ذلك، وجاز بعده.

ومما يجب أن يهتم به الوالد عند تسمية الولد، أن يختار له من الأسماء أحسنها وأجملها، كي لا يتأذى به ان كان كريها. وهذا حق من حقوق الولد على والده.

فقد روى أبوداود بأسناد حسن عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فاحسنوا اسماءكم).**

وكان النبي ﷺ يدعو الى تسمية الأولاد بأسماء فيها معنى العبودية لله أو فيها معنى الخير والتيمن، فقد بدل أسماء بعض الرجال والنساء بأسماء اختارها لهم، فبدل اسم ابي بكر من عبد الكعبة الى عبدالله، وكان اسم عبدالرحمن بن عوف عبد الكعبة فسماه عبدالرحمن وبدل اسم رجل كان يدعى «حربا» فسماه «سلما» وبدل اسم رجل كان يدعى «شهابا» فسماه «هشاما». وبدل اسم عاصية بنت ابي الأفلح «فسماها جميلة». ولم يكن النبي ﷺ يفرض تبديل الاسم فرضا، فالاسم هو حق المسمى به، وانما كان يقترح التسمية، فان شاء ارتضاها المسمى وان شاء رفضها، ماعدا الأسماء التي كانت تدل على عبودية غير الله تعالى، فقد روى التابعي الكبير سعيد بن المسيب بن حزن، أن جده «حزنا» قدم على النبي ﷺ فلما سأله عن اسمه قال له: «حزن» - وهو الرجل الصلب الخشن - فأراد النبي ﷺ أن يبدل اسمه ويسميه «سهلا» فأبى وقال: لا أغير اسما سماني به أبي. ويقول ابن المسيب. ان الحزونة مازالت فينا. وقد يبدل النبي ﷺ اللقب، كما بدل لقب زيد بن مهلهل الطائي، وكان يلقب بزيد الخيل لكثرة خيله، فلقب بزيد الخير، وعرف به بعد ذلك.

الكنى والألقاب:

الكنية هي التسمية باسم الأبن أو باسم آخر توقيرا وتعظيما، كأبى القاسم، وهي كنية النبي ﷺ، والقاسم هو ابنه من زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد توفى صغيرا. وأبى بكر وهي كنية خليفة رسول الله ﷺ واسمه عبدالله. وأبي حفص وهي كنية عمر بن الخطاب.

وكان من عادة العرب أن يكنوا الولد وهو صغير، فقد كنى النبي ﷺ عبدالله بن الزبير - وكان أول ولد في المدينة من المهاجرين - بأبى بكر وأبو بكر هو جده لأمه.

وكان للنساء أيضا كنى، كأم أيمن واسمها بركة بنت ثعلبة، وأم حرام واسمها مليكة بنت ملحان الأنصارية، وأم الدرداء واسمها خيرة بنت أبي حدرة. وأم عمارة واسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية.

وقد تتخذ الكنية اسما وتسمى بها البنت كأم كلثوم بنت الرسول الكريم، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام. وأم العزيز بنت جعفر وتعرف باسم «زبيدة» وهو لقب دعاها به جدها المنصور فغلب عليها.

أما اللقب فهو وصف للمسمى يتميز به، كالصديق وهو لقب أبى بكر، والفارق وهو لقب عمر بن الخطاب، وذو النورين وهو لقب عثمان بن عفان.

العقيقة

العقيقة في اللغة. معناها الشق والقطع. وقيل للذبيحة عقيقة لأنها يشق حلقها. وقيل اصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد [1].

وقد بين النبي الكريم الغرض منها أن تكون قربة لله بحيث لا تخرج الى معصية اذا كانت للمباهاة بها وذلك حينما سئل عن العقيقة فقال: «لا أحب[2] العقوق» أي العقوق بها. فقال: (من ولد له ولد فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل[3] فهو لا يستقرض ثمنها فيكون عاقا أو يشق على نفسه بها.

وعن بريدة الأسلمي قال: كنا في الجاهلية اذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطخ رأسه بدمها، فلما جاء الله بالاسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بالزعفران [4].

ويرى الامام مالك أن العقيقة ليست بواجبة «ولكنها يستحب العمل بها [5] فيذبح عن الجارية كما يذبح عن الغلام ولو عصفورا [6]».

واذا كان الغرض منها الصدقة فانه يجوز أن تستبدل بالشاة الفضة، وفي الحديث (وزنت فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - شعر حسن وحسين، وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة [7].

---

(١) ابن القيم: تحفة المودود بأحكام المولود. ط العلمية (بدون تاريخ) ص٢٥.
(٢)، (٣) الموطأ ص ٣١٠.
(٤) تحفة المودود ص ٢١.
(٥) الموطأ ص٣٣١.
(٦) الموطأ ص ٣١٠.

ويرى ابن القيم أن العقيقة أفضل من التصدق بثمنها وان زاد «لأنه سنة ونسيكة مشروعة بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين، وفيها سر بديع موروث عن فداء اسماعيل بالكبش الذي ذبح عنه وفداه الله به[1].

ثم يقول: «فكان الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بثمنه ولو زاد من الهدايا والأضاحي، فان نفس الذبح واراقة الدم مقصود فانه عبارة مقرونة بالصلاة[2] كما قال تعالى (فصل لربك وانحر).

وقد نقل عن بعض السلف أنه لا بأس من الاستقراض قائلا:

(وانى لأرجو أن استقرض أن يجعل الله الخلف لأنه أحيا سنة من سنن رسول الله ﷺ - واتبع ماجاء[3]).

وآزاء كثرة النصوص نرى أن الأمر موكول بانشراح صدر المسلم فينتقى منها مايتفق والمصلحة، فاذا ذبح كان له سنك، واذا تصدق فانه يتبع ماأمر الله به من الصدقات، وله أن يعق عن كل من الغلام والجارية شاة، أو الغلام شاتين والجارية شاة، وله أن يؤخر وقت العقيقة عن اليوم السابع للمولود[4]. وله أن يقدمها مطبوخة أو غير مطبوخة.

أما جلدها وسواقطها فله بيعها، والتصدق بثمنها، أو التصدق بها نفسها[5] أو يتخذها أهابا أو مصلى في البيت[6].

---

(١)،(٢)، (٣) تحفة المودود ص ٣٦ .
(٤) تحفة المودود ص ٣٩ .
(٥) تحفة المودود ص ٥٢ .
(٦) تحفة المودود ص ٥٣ .

الختان والخفض

جاء في لسان العرب ان الختان للرجال والخفض للنساء وقد يستعمل لكليهما .

١ - الختان:

الختان أو الختن هو قطع القلفة أو الغرلة وهي الجلدة التي تغطي حشفة الذكر.

ويجرى الختن بعد ثلاثة أيام من ولادة المولود وقد جرى بعد اسبوع اوبعد شهر او اكثر. وقد يتأخر الى العاشرة أو أكثر من عمر الصبي .

وكان الختن من سنن العرب قبل الاسلام، ومن لا يختتن يعتبر ناقصا ويدعى «أغلف» أو «أقلف» أو «أغرل» .

ولم يأخذ النصارى بهذه السنة وأبدلوها بغمس أولادهم في ماء مصبوغ بصفرة فيصفر لون المولود. وقالوا هذه طهرة أولادنا [١] .

وأخذ الاسلام بسنة العرب قبل الاسلام في الختن ودعاه التطهير.

روى الامام احمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : من الفطرة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك وتقليم الأظافر ونتف الابط ، والاستحداد [٢] والاختتان .

---

(١) لسان العرب : طهر.

(٢) الاستحداد : حلق الشعر الذي يخرج حول الفرج .

٢ - الخفض:

هو قطع بظر الأنثى. وكان من سنن العرب قبل الاسلام أن تمارسه نساء مختصات بالخفض، وتدعى من تتولاه «الخافضة» أو «الخفاضة» وتدعى أيضا المبظرة[١] وروى الامام أحمد عن شداد بن أوسى عن النبي ﷺ انه قال: (الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء).

ويروى أن خفاضة تدعى أم عطية كانت تمتهن هذه المهنة في المدينة المنورة وكانت تبالغ في الاستقصاء، فأرسل اليها الرسول ﷺ وقال: (اذا خفضت فأشمي ولا تنهكي فانه أحسن للوجه وأرضى للزوج)[٢].

والغاية من الخفض كما يقول الجاحظ - تقليل غلمة النساء، فيكون العفاف عليهن مقصورا والبظراء تجد في اللذة ما لا تجده المختونة، فان كانت مستأصلة مستوعبة كان على قدر ذلك، ولذلك قال النبي ﷺ للخاتنة (ياأم عطية أشميه ولا تنهكيه) كأنه أراد أن ينقص من شهوتها بقدر مايردها الى الاعتدال، فان شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الأزواج، وحب الزوج قيد في الفجور[٣] ومن ذلك يتبدى عناية الاسلام بالمرأة منذ الطفولة - زينة لزوجها، وقد أباح أن يثقب أذن المولودة[٤] لوضع الأقراط في أذنها دون اصابتها بألم.

(١) لسان العرب: بظر.
(٢) الجاحظ: الحيوان جـ٣، ٥١/ ٥٢.
(٣) الجاحظ: الحيوان جـ٦، ص ٢٧/ ٢٩.
(٤) ابن القيم الجوزيه: تحفة المودود فى أحكام المولود ص ١٢٤.

الرضاع

الرضاع هو مص الرضيع اللبن من ثدي المرأة مدة الرضاع .

وقد خلق الله تعالى الطفل وخلق له غذاءه معه في ثدي الأم محتويا على جميع العناصر اللازمة لتكوين جسمه، وجعله غذاء مناسبا له سهل التناول والهضم وان الأم تجد في نفسها دافعا قويا واستجابة فطرية لارضاع طفلها واشباعه فهي أقرب الناس اليه وأكثرهم شفقة وحنانا، فكان من الطبيعي أن يرد النص القرآني موجها الأمهات لارضاع أولادهن وذلك في قوله : ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ . (البقرة : ٢٣٣) .

ان الله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين، لان سبحانه يعلم ان هذه الفترة هي المثلى من جميع الوجود الصحية والنفسية للطفل . وقد أثبتت الدراسات الحديثة ان فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نموا سليما من الوجهتين الصحية والنفسية .

١ — مزايا لبن الأم:

تركيبه ونوعيته : خلق لبن الأم وكون حسب حاجة واحتمال جسم الرضيع وأجهزته المختلفة . فهو لذلك أكثر ملاءمة للطفل وأكثر احتمالا، وأقل ضررا من أي لبن آخر حيواني ، مهما كانت التعديلات والاضافات التي يمكن اجراؤها على هذا اللبن الحيواني .

فلبن الأم يلائم الرضيع كما يلائم غريـزته وقد يتحول من يوم لآخر ليـلائم الـرضيـع ، فهـو يحـوي كـافة المـواد العـذائيـة مـن بـروتينـات وكربوهيدرات ودهن ومعادن وفيتامينات .

٢ — سهولة الهضم:

لبن الأم سهل الهضـم ، ويتم هضمه خلال فتـرة لا تتجاوز ١ - ٢ ساعة بينما هضم لبن البقريتأخر.

٣ - طهارته:

يأخذ الطفل لبـن أمه مباشرة من حلمة ثديها دون الحـاجة الى أية وسيلـة بينما لا يخلـو اللبن الصنـاعي مـن التلوث مهمـا حسنت طـرق تحضيره .

٤ - ثبات حرارته:

يتناول الطفـل جميع رضعاته مـن الأم بدرجة واحدة مـن الحرارة ، بينما يصعب توافر هذه الشروط في اللبن الصناعي .

٥ - اقتصادي:

ان لبن الأم اقتصادي في المال والوقت . فهـو يوفر ثمن اللبن وثمن الزجاجات والحلمات وثمن الوقود و يوفر وقت الأم الذي يستغرقه تجهيز الرضعات في حالات الرضاعة الصناعية .

٦ – لبن الأم يقوى الرابطة الروحية والعاطفية:

فهو يجعل الأم أكثر عطفا وارتباطا واعتناء بطفلها وهو الضمان الوحيد الذي يحدو بالأم لأن تعتني بطفلها بنفسها .

٧ – لبن داعم:

لبن الأم يدعم الزمرة الجرثومية الطبيعية في الامعاء ذات الدور الفعال في امتصاص الفيتامينات وغيرها من العناصر الغذائية بينما تضطرب هذه الزمرة في حالات الرضاعة الصناعية .

٨ – التحسس:

الرضاعة من الأم نادرًا ماتسبب مشكلات للطفل كالاسهال والنزف المعوي . ومظاهر التحسس الشائعة ، كما ان المغص والأكزيمات أقل .

٩ – بدون أمراض:

نادرا ماتسبب الرضاعة الطبيعية أمراضا لدى الطفل ، في حين أن الرضاعة الصناعية قد تؤدي الى التهابات الطرق التنفسية والتهاب الأذن الوسطى واللثة [١] .

ومن الحقائق العلمية الجديدة ماأثبته العلم أخيراً من أن لبن الأم أو حليب الأم يقاوم شلل الأطفال .

لقد ثبت بصفة قاطعة أن مرض شلل الأطفال كان قليل الوجود

---

(١) عماد ابراهيم الخطيب : حليب الام وفوائده مجلة الرابطة العدد ٢٦٠ ربيع الاول ١٤٠٧هـ — ديسمبر ١٩٨٦ .

في القرون الماضية لا لشيء الا لأن الأمهات كن يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية. وهناك أدلة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة نذكر منها:

— **أولاً**: عندما حل مرض شلل الأطفال بحالة وبائية في شمال كندا. نجا الأطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية من الاصابة بهذا المرض.

— **ثانياً**: مرض شلل الاطفال كان اكثر انتشارا في البلاد المتمدنة التي اهملت الرضاعة الطبيعية [١].

الرضاعة في مصلحة الأم:

الرضاعة الطبيعية لها فوائد ومصالح للأم وذلك لما يلى:

— **أولاً**: تساعد الرضاعة من الثدي على تقلص الرحم عند الأم لافراز مادة الأوكسينوسين من الغدة النخامية، فتساعد على تقلص الرحم، وتفيد في عملية انطمار الرحم بعد الولادة كما يقلل من الدم النازف بعد الولادة.

— **ثانيا**: وجد أن النساء المرضعات أقل اصابة بسرطان الثدي من غير المرضعات.

— **ثالثا**: الارضاع الطبيعي يعتبر منظما للنسل، اذ يسبب انقطاع الدورة الشهرية بشكل فزيولوجي عند بعض النساء [٢].

ان من حق الطفل في الاسلام أن يرضع لبن أمه وهي آمنة على رزقها وقوتها وسكنها وكل مايلزمها لأن الزوج مأمور أن ينفق عليها منذ

---

(١) عز الدين فراج: بين لبن الام واللبن الحليب مجلة الدوحة العدد ٩٧ ربيع الاول ١٤٠٤هـ — ديسمبر ١٩٨٦.

(٢) عماد ابراهيم: مصدر سابق.

زواجها وحتى اذا تـم طلاق وهي حامـل فان نفقتها مستمرة علـى الزوج الى أن تضـع فيترتـب لها ولولـدها نفقة أخـرى . واذا مات الـزوج وهي حامـل فانهـا ترثه ويـرث ابنها نصيبـه بل على الـوارث أن يقوم بـواجب الوالد المتوفي لاستـرضاع الطفل من أمه أو من غيرها وكلـه بأجر. ومما يثبـت أن المرأة تظـل زوجـة في أشهـر العدة انهـا تـرث الزوج بنصيبهـا الشرعي اذا مات وهي تقضي شهور العدة .

وما العـدة إلا ضمان لعـدم اختلاط الأنسـاب فلا يحـل للمرأة أن تتزوج الا بعـد انقضاء شهور العـدة ضمانـا لطهارة النسب . بـل انها اذا كان الـزوج حيا تعيـش في البيت ولا يحـل للزوج أن يخـرجها مـن بيتها بمجرد وقوع الطلاق .

﴿ياأيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقـوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقـوا الله ربكم . لاتخـرجوهـن من بيـوتهـن ولا يخرجـن إلا أن يأتيـن بفاحشة مبينة . وتلك حدود الله . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدرى لعـل الله يحدث بعـد ذلك أمـرا﴾ (سورة الطـلاق : ١) . ثم يتـم الطلاق بعد انقضاء العدة فاذا كانت حاملا فبعد أن تضع وليدها .

الحضانة

من معانى الحضانة فى اللغة ضم المرأة ولدها الى نفسها وقيامها بتربيته فيقال حضنت المرأة الصبى أى جعلته فى حضنها. وهى فى اصطلاح الفقهاء لاتبعد عن هذا المعنى اذ يطلقونها على تربية الولد ممن له حق الحضانة[١].

وأحق الناس بحضانة الطفل أمه، غير أنه قد تعرض أمور يركب فيها الوالدان مركب العناد فإذا كان الطفل مميزا خير بين أبويه، واذا لم يبلغ سن التمييز فأمه أولى بحضانته.

ففى رواية عن عبد الحميد بن جعفر الانصارى أن جده أسلم، وأبت امرأته أن تسلم، فجاء بابن صغير له، ولم يبلغ، فأجلس النبى ﷺ الاب هاهنا والام هاهنا، ثم خيره وقال: **اللهم اهده، فذهب إلى أبيه**[٢].

وعن أبى هريرة: جاءت امرأة الى النبى ﷺ فقالت: يارسول الله، ان زوجى يريد أن يذهب بابنى وقد سقانى من بئر أبى عنبه وقد نفعنى، فقال له النبى — عليه الصلاة والسلام — **هذا أبوك وهذه أمك. فخذ بيد أحدهما شئت فأخذ بيد أمه. ولم يسأل عن سنه**[٣].

واذا كان لايعدل حنان الوالدين لاولادهما شىء فإن حضانة الاطفال تكون للصالحين لهذه الحضانة من أقارب الطفل بحيث لا

---

(١) ابن عابدين جـ٢.

(٢) مسند الامام الشافعى ص ٢٨٨ وفيه تخيير بين الام والعم.

(٣) تحفة المودود ص ١٧٧.

يضيقون بـه، ولا يضار بهم، وفـى سيرة النبـى ﷺ ما يشير الـى أن الجد بعد الاب أولـى بحضانـة حفيده. فقـد كان يـوضع لعبـد المطلب بـن هاشـم فراش فـى ظل الكعبة. فكـان بنوه يجلسون حـول فراشـه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه أحد مـن بنيه احلالا له، فكان رسول الله — ﷺ — يأتـى وهو غـلام جفر حتى يجلـس عليه، فيـأخذه أعمـامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم:

دعوا ابنـى، فوالله ان لـه لشأنـا، ثم يجلسـه معه عليـه، ويمسح ظهره بيده ويسره مايراه يصنع[1].

ويلاحظ فراسته فى محمد ولما يبلغ — عليه الصلاة والسلام — ثمانى سنين[2]. وهكذا يجب على الكافـل أن يتحسس النجابة فيمن يكفله.

ثم آلت كفـالته الى عمه أبى طـالب، وتحدثنا السيـرة العطرة عن انتقال هذه الكفالـة الى أبى طالب وذلك لان عبـد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لاب وأم، أمهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ[3].

وكـان أبـو طـالـب هـو الذى يلـى أمـر رسـول الله ﷺ فكـان إليـه ومعه[4].

والحضانة كما هى حق للصغير تثبـت أيضا حقا لاقربائه المحارم من النساء أولا فإذا لم يوجد منهن مـن يصلح للحضانة انتقل هذا الحق الى عصبته من الرجال ويشترط فى الحاضنة أن تكون حرة بالغة عاقلة،

---

(١) ابن هشام: سيرة النبى جـ١، ص ١٨٠.
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ١٨٠.
(٣)، (٤) المصدر نفسه جـ١ ص ١٩٢.

وأن تكون قادرة علـى القيام بشؤون الصغير، وأن تكون أمينـة على نفسه ومالـه وخلقه، وألا تكون مـرتدة، وألا تمسكـه عند غير ذى رحـم محرم منه.

كما يشتـرط ألا تكون الحـاضنة متـزوجة بغيـر ذى رحم محـرم من الصغيـر، لانها تكـون قد أمسكتـه عند أجنبـى عنه قـد لا يعطف عليـه فيتعرض الصغيـر لنظرات الكراهيـة ويشعر بالجفـوة مما يسبب لـه آلاما نفسية، فإذا طلقت من الاجنبى استردت حقها فى الحضانة.

وتجب للحـاضنة أجـرة ان لم تكن الـزوجية قائمـة بين الحـاضنة وبين والـد الصغير ولـم تكن معتـدة من طـلاق رجعى أو بـائن، وتكون أجرة الحضانة واجبـة فى مال الصغير اذا كان له مال لان نفقتـه فى ماله وأجرة الحضانة من النفقة.

وتنتهى الحضانة ببلوغ الصغير السن التى يستغنى فيها عن خدمة النساء.

كفالة اليتيم :

أما كفالة اليتيم فهى كفالـة للضعف الانسانى، وللنبت الصغير أن تعصف بـه العواصف، واليتيـم من مات أبـواه أو أحدهما وهـو صغير. وقد عنى الاسلام بـأمر اليتيم والحث على تربيته والمحـافظة على نفسه وماله، وقد ظهرت عناية القرآن الكـريم بشأن اليتيم منذ أن نزل، الى أن أكمل الله دينـه، وأتم على المـؤمنين تشريعـه. ظهرت فى مكـة حينما عاد الوحـى الى النبى الكريم بعد أن فتـر عنه مدة طويلة، يذكـره بعناية الله له قبـل النبوة وهو أحوج مـا يكون الى عطـف الابوة التى فقدهـا ولم يرها ﴿**ألـم يجدك يتيمـا فآوى**﴾ (الضحى: ٦) ثـم يطلب منـه الشكر

على تلك النعمة، وأن يكون شكرها من جنسها، عطف على اليتيم ورحمة به ﴿**فأما اليتيم فلا تقهر**﴾ (الضحى: ٩).

وجعل الله ازدراء اليتيم واهمال أمره آية من آيات التكذيب بيوم الدين ﴿**أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم**﴾ (الماعون ١ — ٢).

ويجعل الوصية به احدى الوصايا العشر التى لم تنسخ فى ملة من الملل وينظمها مع الايمان بالله فى سلك واحد ﴿**قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم**﴾ الى ان يقول ﴿**ولاتقربوا مال اليتم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده**﴾ (الانعام: ١٥١ — ١٥٢).

وفى سورة النساء برزت عناية خاصة باليتيم فى شأنه كله، ومهدت لهذه العناية بطلب تقوى الله والارحام وبيان ان الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة، فاليتيم حتى وان كان من غير اسرتكم، أخوكم ورحمكم، فقوموا له بحق الاخوة، وحق الرحم واحفظوا أمواله، وهذبوا نفسه واحذروا اغتيالها وأكلها، واحذروا اهماله وإلقاء حبله على غاربه، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا**﴾ (النساء: ٢) ويقول ﴿**وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح، فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولاتأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا**﴾ (النساء: ٦).

وجعلت الشريعة لليتيم نصيبا من الغنائم فقال سبحانه:

﴿**واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى**

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ (الانفال : ٤١)، وتأمل الحكمة القرآنية فى أن يكون لليتامى واضرابهم حق فى الفىء **﴿لكي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾** (الحشر: ٧) ورعاية اليتيم القريب أولى كما يقول الله تعالى **﴿أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة﴾** (البلد: ١٤ — ١٥).

وتأمل رحمة الله تعالى تنقذ مالا من الضياع ليتيمين كان أبوهما صالحا فتحرى الكسب الحلال ليبقى لولديه مصونا الى أن يبلغا أشدهما قال الله تعالى:

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ (الكهف: ٨٢).

ولقد دعا الرسول الكريم فى مواطن كثيرة الى الرحمة باليتيم وحث عليها، فيروى عن أبى هريرة أنه قال. قال رسول الله ﷺ «**والذى بعثنى بالحق نبيا، لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، وألان له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره، بفضل ما آتاه الله**» (رواه الطبرانى».

اللقيط :

اللقيط هو الصغير الحى الذى لا يعرف له أب ولا أم وتخلص منه أهله خشية الفقر أو خوفا من الفضيحة والعار أو التخلص منه لاى سبب آخر.

ويحرم على من التقطه أن يتركه هملا لان فى نبذه تعريض له

للهلاك، واتلاف النفس الانسانية بغير حق مما يحرمه الدين وتأباه الفطرة. واللقيط يحكم بحريته واسلامه لان الناس كلهم أحرار بحكم الاصل، كما أن اللقيط يعتبر مسلما تبعا لدار الاسلام[1].

وكذلك إذا كان على غير الاسلام وأسلم وهو فى السابعة من عمره ثم رجع عن الاسلام أجبر على الاسلام[2] لكيلا تتلقفه أيدى التنصير أو من لا دين له. ويكفل اللقيط من التقطه ورضى أن يكون له نفقته، فإذا تنازعه غير واحد فأرجحهم فى حكم القضاء أولى به.

واذا لم يعرف له اسم سمى اسما حسنا كعبد الله وعبد الرحمن، ويحرم عليه أن يدعى الى غير أبيه وهو يعلم أباه لقوله — ﷺ — «**لا ترغبوا عن أبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر**[3] **أى كفر بالنعمة**[4].

وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا ادعى نسب اللقيط رجل مسلم وهو يعتقد أنه ليس ابن غيره، ثبت نفسه منه، حفظا لكرامته واعزازا له بين أمته، بانتسابه الى أب معروف، ومتى ثبت نسبه ثبتت له جميع حقوق النبوة، من نفقة وتربية وميراث. أما اذا لم يدع أحد نسبه، فإنه يظل بيد الملتقط تكون له ولايته وعليه تربيته وتثقيفه بالعلم النافع فى الحياة، أو الصنعة الكريمة المثمرة، حتى لا يكون عالة على الامة. ونفقته فى تلك الحالة واجبة على بيت المال، ينفق عليه وهو فى يد الملتقط، ويكون الملتقط مسؤولا عنه فى كل ما يحتاجه وينفعه، من عمل وتوجيه، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لمن

---

(١) محمد سلام مدكور: الوجيز لاحكام الاسرة فى الاسلام. دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٥ ص ٤٤٦.

(٢) تحفة المودود ص ١٧٩.

(٣)، (٤) صحيح البخارى بحاشية السندى ٤/ ١٧٠.

التقط طفلا : «لك ولاؤه، وعلينا نفقته»، وكان يفرض له من المنفقة ما يصلحه ويقوم بشأنه، ويعطيه لوليه كل شهر، ويوصى به خيرا. ومع هذا قرر الفقهاء أن الملتقط إذا كان سيء التصرف لا يهتدى الى وجوب التربية المثمرة، أو كان غير أمين على ما يعطى من نفقته وجب نزعة من يده، ويتولى الحاكم عندئذ تربيته والاشراف عليه، كما يتولى رزقه ونفقته[1].

التبنى :

أما التبنى فينبغى لمعرفة حكم الشريعة فيه أن يعرف، أن له فى معناه صورتين :

أحدهما : أن يضم الرجل الطفل الذى يعرف أنه ابن غيره الى نفسه، فيعامله معاملة الابناء من جهة العطف والانفاق عليه ومن جهة التربية والعناية بشأنه كله، دون أن يلحق به نسبه، فلا يكون ابنا شرعيا ولا يثبت له شيء من أحكام البنوة. والتبنى بهذا المعنى، صنيع يلجأ إليه بعض أرباب الخير من الموسرين الذين لم ينعم الله عليهم بالابناء، ويرونه نوعا من القربة الى الله بتربية طفل فقير، حرم من عطف الابوة أو حرم من قدرة أبيه على تربيته وتعليمه، ولا ريب أنه عمل يستحبه الشرع، ويدعو إليه، ويثيب عليه، وقد فتح الاسلام للموسر فى مثل تلك الحالة باب الوصية، وجعل له الحق فى أن يوصى بشيء من تركته يسد حاجة الطفل فى مستقبل حياته، حتى لا تضطرب به المعيشة، ولا تقسو عليه الحياة. .

أما الصورة الثانية : فهى أن ينسب الشخص الى نفسه طفلا

---

(١) محمود شلتوت : الفتاوى ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

يعرف أنه ولد غيره، وليس ولدا له، ينسبه الى نفسه، نسبة الابن الصحيح ويثبت له أحكام البنوة من استحقاق ارثه بعد موته، وحرمة تزوجه بحليلته. وقد عمل بهذا النظام كثير من الامم فى العصور القديمة والوسطى، ولايزال معمولا به فى كثير من الامم الغربية وغيرها فى العصر الحاضر، بشروط وأوضاع تختلف باختلاف الامم التى أخذت به.

وكان العرب قبل الاسلام يطبقونه فى نطاق واسع. وقد تبنى الرسول الكريم نفسه قبل النبوة، جريا على عادة العرب، زيد بن حارثة، مع أنه كان معروف الاب والام، فكان يدعى زيد بن محمد.

ولا يخفى ما يؤدى اليه نظام التبنى من اختلاط فى الانساب، وتوهين لحرمة القرابة، وأضعاف لوشائج الدم، وافساد لمقومات الاسرة، واثارة لعوامل الفتنة والضغينة، واضرام لنار الشقاق والنزاع بين العشائر والاسرات.

ولذلك حرمه الاسلام تحريما باتا، وأنكره القرآن فى عبارات قوية تنم على تعارضه مع الدعائم السليمة التى ينبغى أن تقوم عليها نظام الاسرة الانسانية. وفى هذا يقول الله تعالى:

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ — الادعياء هم الذين كان الناس يتخذونهم أولاداً بطريق التبنى — **﴿ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل. ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم﴾** (الاحزاب: ٤ — ٥).

وبهذا النص الكريم ألغى الاسلام التبنى إلغاءا تاما، فانتسب أبناء التبنى كلهم الى آبائهم الحقيقيين، وأما الذين كانوا غير معروفى الآباء فاكتفوا بنسب الاسلام وصاروا اخوة وموالى للمسلمين.

وفى هذا يقول عبد الله بن عمر: (ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾ فدعوناه زيد بن حارثة) ولحرص الاسلام على القضاء على هذا النظام وإزالة جميع آثاره، ولقوة تأصله فى نفوس العرب، لم يكتف الاسلام بالغائه بالقول، بل رأى كذلك أن يقضى عليه بطريق عملى، فأوصى الله تعالى الى نبيه أن يتزوج زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة الذى كان الرسول الكريم قد تبناه قبل المبعث ليبين للناس بطريق عملى انه لاتبنى فى الاسلام وان الدين الجديد قضى على هذه القرابة المصطنعة، ومحا جميع آثارها، وأحل ما كانت تحرمه، ومن ذلك زواج الرجل بمطلقة من تبناه. وذلك ان العرب قبل الاسلام لانزالهم المتبنى (بالفتح) منزلة الابن من جميع الوجوه، كانوا يحرمون على من تبناه أن يتزوج بمطلقته، كما يحرم على الاب أن يتزوج بمطلقة ابنه من صلبه. فجاء زواج الرسول الكريم بمطلقة زيد بن حارثة تقريرا عمليا لالغاء هذا النظام اذ يقول: ﴿**فلما قضى زيد منها وطرا** «وذلك كناية عن طلاقه إياها» **زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعياءهم اذا قضوا منهن وطرا**﴾ (الاحزاب: ٣٧).

ولتوكيد هذا الحكم يقول الله تعالى فى الآية التى بين فيها من يحرم الزواج بهن ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم**

وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت . . إلى قوله تعالى : **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾** (النساء : ٢٣) .

أى أن الابناء الذين يحرم على الآباء الزواج بمطلقاتهم أو أراملهم هم الذين ينحدرون من أصلابهم لا الذين يجيئون عن طريق الادعاء والتبنى الذين قضى عليه الأسلام[١] .

---

(١) على عبد الواحد وافى : من أجل أسرة قوية . مجلة العروة الوثقى . العدد ٣١ . شعبان ١٤٠٢هـ

النفقة

فرض الله تعالى على رب الاسرة رزق أولاده من ماله، وأوجب عليه السعى، والكسب من أجلهم، والتشريع الاسلامى لم ينظر الى هذه التبعة على أنها مسؤولية مالية جافة كمسؤولية المدين، بل أضفى عليها وصف العبادة والطاعة، فهى فوق ما فيها من مسايرة الفطرة وما تحققه من اللذة الروحية تحتسب له طاعة وصدقة يثيبه الله عليها. قال عليه الصلاة والسلام: **(كل معروف صدقة. وما أنفق الرجل على أهله كتب له صدقة، وما وفى المرء به عرضه كتب له به صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله، والله ضامن)**.

وقال ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم **«دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة — أى فى اعتاق عبد أو أمة — ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك»**.

واذا كان للاب الاجر والثواب فى التوسعة على الاهل، بالانفاق على الاولاد فإن عليه بالتالى الوزر والاثم اذا أمسك عن الانفاق، وقتر على الاهل والاولاد وهو مستطيع. يقول ﷺ فى حق المضيعين لعيالهم والممسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم، فى الحديث الذى رواه أبو داود **«كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت»** وفى رواية لمسلم **«كفى بالمرء اثما أن يحبس عمن يملك قوته»**.

وللولد — ذكرا أو أنثى — قبل والـده — الحق فى النفقة والتعليم والتوجيه، الى بلوغ الرشد، ان كان ذكرا، والى الزواج ان كانت أنثى.

اذ يستفـاد من نهـى الآبـاء عن قتـل أولادهـم خشيـة الفقر وعـدم استطاعة الانفـاق عليهم، فى قولـه تعالى: ﴿**ولاتقتلوا أولادكـم خشية إملاق**﴾ — ذكـرا أو أنثى — (أى خشيـة ألا تستطيعـوا الانفاق عليهـم ﴿**نحن نـرزقهم وإيـاكم**﴾ أى نحن الله جـل جلالـه — نتكفل بـرزقهم معكم، وتكفلنا بـرزقهم يأتى فى الـدرجة الاولى ﴿**ان قتلهم كان خطئا كبيرا**﴾ (الاسراء: ٣١).

اذ يستفاد مـن هذا النهى، وجـوب نفقة الاولاد على الآبـاء، وحق الاولاد على آبائهم فى هذه النفقة. وهـذا أمر طبيعى لا يحتاج الى تقرير الاسلام اياه صراحة، لـذا كل ما يأتى به الاسلام فى هـذا الجانب هو أن يـرفـع كـابـوس التشـاؤم مـن علـى الآبـاء ويعيـد الـى نفـوسهـم الثقـة باستطـاعتهم أن ينفقوا على أولادهـم الذين هـم فى أمس الحاجـة الى الرعاية من جانبهم، طـالما يعتمدون على الله ويسلكون السبيل السوى فى تحصيل الارزاق لهـم ولاولادهم، فى بعد عـن كل ما حرمـه الله فى شأن المـال: من أكـل الربا، وأكـل أموال الناس بـالباطـل، وتطفيف الكيل والوزن، فضلا عن النصب والسرقة.

وفى الاسلـوب الذى برز فيه النهـى عن قتل الاولاد فى هـذه الآية، وما تبعه من عهد الله على نفســه برزق الاولاد. ما يطمئن النفوس القلقة بسبب لقمة العيش، التـى قد يدفعها القلق الى قتـل الاولاد تخلصا من هموم تحصيل الرزق لهم.

ووجوب انفاق الآبـاء على الاولاد هو الى سن الرشـد، أى الى سن التمييز واستقلال الشخصيـة وضعف التردد فى الحكـم والاختيار، هذا

التردد الـذى يعد ظاهـرة نفسية لمرحلـة المراهقـة السابقة لانـه اذا كان الولد فى سن الطفولة يعجزعـن الكسب والسعى من أجل الرزق بسبب ما بـه من ضعف البـدن ، فإنه يعجـز كذلـك عن الكسب والسعـى من أجل الـرزق فى سن المراهقـة بسبب الضعف النفسى أو العقلـى ، وهو الضعـف فى مجـال الاختيـار والمشيئة . ولكنـه عندمـا يبلـغ المرحلـة الفاصلـة فى حياتـه ، وهى مرحلـة الاستقلال أو الـرشد ، فإنـه يكون ذا استطاعـة على كسب العمل مـن الوجهتين : الجسمية والنفسيـة معا . ومن أجل ذلـك لا يمتد حق الذكر قبـل والده فى النفقة الى مـا بعد فترة الرشـد ، الا اذا كان هناك داع يحـول بينه وبين الكسـب مؤقتا ، كـإتمام التعليم مثلا ، فيمتد هذا الحق الى حين الانتهاء منه .

والقـرآن فى تحـديـد تسليـم أموال اليتـامـى إليهـم بسن الـرشـد استهدف : أن الـرشد هـو استقلال الانسان ، سـواء فى الكسـب أو فى مباشرة التصرف . كمـا هو امارة المسؤولية الكاملـة فى الصواب والخطأ معا : فى الفعـل ، أو فى الاعتقاد ﴿**وابتلوا اليتامى حتـى اذا بلغوا النكاح فـإن آنستم منهـم رشـدا**﴾ أى بـالفعل وتمييـزا بيـن الاشيـاء يدل علـى استقلالهـم ﴿**فـادفعـوا إليهم أمـوالهـم**﴾ أى ليبـاشروا التصـرف فيهـا بأنفسهم (النساء : ٦) .

أما الانثـى فلأن الشأن فيها : أنهـا لا تخرج للتكسب ولا لمبـاشرة العمل فى مجـال تختلط فيه بالرجـال ، حفاظا على كرامتهـا وحيائها . فقد امتد حقها فـى النفقة على ذى عصبة لها من والد الـى جد لها الى أن تتزوج فينتقل حقها فى ذلك عنـدئذ ، ويصبح على زوجها فى الاسرة الجديدة . فـإذا أرادت أن تباشر كسب العمل بنفسها وتسقـط حقها فى

النفقة على ذى عصبة لها فالاسلام غير مسؤول بعد ذلك عن اهانتها وانتهاك حرمتها، وحق الولد — ذكرا أو أنثى — على والده فى التعليم والتعرف على الاسلام كمنهج للحياة يمليه الاسلام كعضو فى المجتمع الاسلامى. أما التعلم لتعرف سبيل العيش والتمكن من السعى لتحصيل رزق الله فهو جزء لا يتجزأ فى تحقيق الرشد لدى الانسان وبالتالى فى استقلاله وعدم حاجته الى والده بعد ذلك فى الانفاق عليه[1].

واذا قام الأب بمسؤوليته، وأدى ما يجب عليه لاعضاء اسرته، فليس له أن يختص بعض ولده بشىء من ماله دون الباقين، حتى لا يوغر عليه الصدور، ولا يوقع بينهم البغضاء، فتضعف روابط الاسرة، ويلحق بنيانها الوهن، قال النعمان بن بشير أعطانى أبى عطية فأتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: إنى أعطيت إبنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يارسول الله. فقال له عليه الصلاة والسلام: **أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟** قال: لا. قال: **أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟** قال: بلى. قال: **فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم**. وقال: **فلا أشهد على جور**.

واذا كان المال مال رب الاسرة، وهو ملك خالص له، ومن حقه ان يتصرف فيه كما يريد، فإن عليه أن يراعى بجانب هذا أن لاسرته حقوقا تعلقت بهذا المال، وأنه لا يملك أن يضيع هذه الاسرة لا فى حياته ولا بعد موته. وان كان ذلك من طريق الانفاق فى القربى

---

(١) محمد البهى: حقوق الانسان فى القرآن ٦١ — ٦٢. (بحث مقدم للمؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية). بالقاهرة. المحرم ١٣٩١هـ — مارس ١٩٧١م.

وأعمال البر فقد قال عليه الصلاة والسلام :

(خير صدقة ما كان عن ظهر غنى . وابدأ بمن تعول) .

وأمر النـاس بالصـدقة فقـال له رجـل : يارسـول الله عندى دينـار. قال : **تصدق به على نفسك** . قال : عندى آخر. قال : **تصدق به على زوجتك** . قال : عندى آخر. قال : **تصدق به على ولدك** . قال : عندى آخر. قال : **تصدق به علـى خادمك** . قال : عندى آخـر: فقال : **أنت أبصر به)** .

وروى جابـر بن عبـد الله أن رجلا أتى النبـى ﷺ بمثل البيضـة من الذهـب . فقال : يـارسول الله هذه صـدقة ، مـا تركت لـى مالا غيـرها . فحذفـه بها النبـى ﷺ فلو أصـابه لاوجعـه . ثم قـال : **ينطلق أحـدكم فينخلع مـن ماله ثـم يصير عيالا علـى الناس)** وقال لسعد حينمـا عرض عليه أن يوصـى بكل ماله أو بـأكثره . **الثلث ، والثلث كثيـر انك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس)** .

ان الاب فى الاسـلام يؤمر بـأن ينفق على الطفـل منذ هو نطفـة فى بطن أمه(*) . حتى اذا مات الاب فـإن نفقة الام الحامل تكـون على من ورث الاب المتوفى . ومـن هنا كان نصيب الذكر مثـل حظ الانثيين ، لا

(*) قارن بين حقوق المرأة والطفل فى الاسلام وبين ما يحدث فى الغرب . ففى انجلترا مثلا كان منذ قـرن واحد فقط من حق الرجـل أن يترك زوجه وأولاده بلا شىء يقيم أودهـم ثم يعود ليأخذ كل ما تملك . ان كانت قد ملكت شيئا فى غيابه . ليبدده دون أن يسأله أحد حسابا ، ثم يهجرها من جديد وهكذا . فلا نفقـة يكفلها القانون للزوج ولا للاولاد ، ولا ملكية للمرأة أيا كانت بل هي وما تملك أمام القانون ملك خـالص لزوجها . بل ان المرأة لم تنل الحق فى أن تملـك شيئاً خـاصا بهـا إلا سنة ١٨٧٠ م ، ولـم تنل الحـق فى حضـانة أولادهـا الا فى سنـة ١٨٨٦ . ولم تنل حق الارث إلا بعـد ذلك وهكذا . . . فكل هذه الحقوق التـى وصلت إليها المرأة الغربية حديثة جدا بالنسبة الى الحقوق الثابتة التى أعطاها إياها الاسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام (اسماعيل مظهر: كتاب المرأة فى عصر الديمقراطية) .

مفاضلة ولا تفضيلا انما حق وواجب، بل ان الرجل مأمور بالانفاق على والديه الى جانب زوجه وأولاده بل على كل امرأة من ذوى قرباه لا عائل لها. والمرأة ترث النصف دون أية أعباء.

فإذا كان الاب مكلفا بالانفاق على ابنه الى أن يستغنى الابن، أى إلى أن يستطيع كسب رزقه. أوليس هذا أضمن للطفل من كل القوانين الحديثة والتشريعات المعاصرة التى تسن لتحرم تشغيل الصبية دون سن معينة فى أعمال شاقة وخطرة أو غير ذلك. لان تشغيل الاطفال فى سن مبكرة يضرهم صحيا وبدنيا وله أبعاد اجتماعية واقتصادية على المدى الطويل. والسؤال فإن كان الوالد عاجزا عن أن ينفق على أولاده؟ فالجواب أن المشكلة هنا وليست فى قوانين لتشغيل الاحداث وغير ذلك، فليتكاتف المجتمع وليطبق الاساس الاسلامى لتوظيف أموال المؤمنين. فالمال فى الاسلام عارية، ونحن مستخلفون عليه فى الارض لينفق فى سبيل المؤمنين. يقول الله تعالى: ﴿**آمنوا بالله ورسوله. وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ (الحديد: ٧) فالانفاق أحد التكاليف التى ألقاها الله تعالى على الفرد، فيما جعله مستخلفا فيه من مال: وقال الفخر الرازى فى هذا المعنى (وان الفقراء عيال الله. والاغنياء خزان الله، لان الاموال فى أيديهم أموال الله، ولولا أن الله تعالى ألقاها فى أيديهم، لما ملكوا منها حبة. فليس بمستبعد أن يقول الملك لخازنه: اصرف طائفة مما فى تلك الخزانة الى المحتاجين من عبيدى)[1].

وروى أبو عبيد فى «الأموال» عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: «ان الله تعالى فرض على الاغنياء فى أموالهم بقدر ما

(١) الفخر الرازى: جـ٤، ص ٤٥٨.

يكفى فقراءهـم، فإن جاعوا أو عروا، أو جهدوا، فبمنـع الاغنياء. وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة)[١].

أمر الله بالزكاة، وجعلها من قواعد الاسلام، وحث على الصدقة. والزكاة مـا يخرجه الانسان من مالـه وهى واجبة. والصدقة مـا يتطوع به الانسان مـن المال. وقـد علق الشـاه ولى الله دهلـوى عالـم الاجتماع المسلم تعليقـات هامة علـى مكانة الزكـاة باعتبارهـا عاملا خطيـرا فى الحيـاة الاجتماعيـة والخلقية للجمـاعة المسلمـة فقال: (يجـب أن لا يفـوتنا أن الـزكـاة قد فـرضـت لتحقيـق غرضيـن: التحكـم فى النفـس والهوى، وحماية أبناء المجتمع من آفات الفقر والعوز. ان الغنى يورث الشح والانانية ويشيع الكراهية بيـن الناس بل وينزل بالمستوى الخلقى لاصحابـه. وخير عـلاج لهذه الشرور أن ينفـق الانسان مـاله فـى الخير فعند ذلـك يزيل كـراهية الناس لـه ويقطع جـذور البخل فى نفسـه كما يعالـج فى المجتمـع داء الانقسام ويمد أفـراده بروح من الـزمالـة التى تصبح أساسـا لبناء الشخصية الممتازة وكلمـا تأصلت فى النفـس هذه الروح أورثتها عـادة الامانة فى معـاملة الناس. وبهذا يصبـح الفرد مثالا حيـا للتفوق الخلقـي[٢] وفـريضة الـزكاة لا تعيـن علـى ايجاد التقسيـم الصحيـح للثروة فقـط ولكنهـا تعمـل كذلـك علـى رفـع شأن الشعـب كله[٣].

ان للفـرد المسلم الـذى لا تتوافـر له فـى سعيه الخـاص الوسـائل لمستـــــــوى فى المعيشة كاف للمحافظة على الصحة، والعناية به

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الاموال ص ٥٩٥.

(٢) ميرزا محمد حسين: الاسلام والاشتـراكية ترجمة د. عبد الرحمن أيوب المـؤسسة المصرية العامة للتأليف القاهرة ص ١٦١ — ١٦٢.

(٣) مولاى محمـد على: الاسلام والنظـام العالمى الجـديد ترجمـة أحمد جوده السحـار مكتبة مصر ص ٥٢.

وبأسـرته فـى الملبس والمسكن، الحـق قبل المجتمـع فيما يحقـق له الكفاية لهذا المستوى.

فتنـص آية الـزكـاة على المسكيـن، وهو الـذى يسعـى من أجـل الرزق، ولكن سعيه لا يغطى احتياجاته فى مستوى معيشته: له ولاولاده ان كانت له أسرة.

وقصور سعيـه عن الوفـاء بحاجته يـرجع، اما الـى سوء تدريبـه على العمل أو الى ضعف فـى امكانياته. أى لا يعود الى كسل وتـواكل وانما هو يبذل قصارى جهده فى العمل، ولكن رغـم ذلك تتطلب معيشته مزيدا من النفقة. فهو عندئذ مسكين، ويعطى من الزكاة ما يكفى حاجته.

وهـذا الحق ليـس للمسلميـن فحسـب، ولكن لاهـل الطـوائف الاخـرى. يحـدثنا خـالـد بـن الوليد فى كتاب بعث به الى أهل الحيرة فيقول (أيما شيـخ ضعيف أو أصابته آفـة من الآفات أو كان غنيـا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحـت عنه جزيته وعيل من بيت المال هو وعياله. ما أقام بدار الهجرة والاسـلام) ان هذه الرعاية التى أشار إليها خالد بن الوليد هى ما نسميه فـى هذا العصر باسم «الضمان الاجتماعى الذى تمنحـه الدولة للـزمنى والعاجزيـن وأصحاب الآفات. لقـد سبق إليه الاسلام بأكثر من أربعة عشر قرنا.

التسوية بين الابناء فى المعاملة:

ان تسوية الابنـاء فى المعاملة من واجب الآبـاء، ذلك لان التفرق فى المعاملة تولد الحقد والحسد فـى النفوس وتزيل المحبة والتعاطف فيما بينهـم من جهـة، وفيما بينهم وبيـن الآباء مـن جهة أخـرى. يقول

الرسول الكريم: «**اعدلوا بين أبناءكم فى النحل — أى العطية والهبة — كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف**» (الطبرانى).

وقد تبين فى عرض القرآن لقصة يوسف عليه السلام، ان الذى أشعل حقد أخوته عليه وأدى الى تآمرهم علـي، ما بدا لهم من ايثار أبيهم ليوسف واختصاصه بألوان من القرب والكرم فكان من الشر ما كان.

﴿اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة، ان أبانا لفى ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ (يوسف: ٨ — ٩).

فالايثار وعدم العدالة فى المعاملة بالاضافة الى إزالة المحبة من بين الافراد والسعادة من البيت فإنه يخلق جوا مشحونا قائما فى سماء البيت ونتيجة لذلك تتحول الحياة فيه الى جحيم لا يطاق.

وما أحسن ما قالته فاطمة الانمارية عندما سئلت أى أولادك أحب إليك؟

فأجابت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

هذه هى الأم التى تمثل الأمومة المثالية العادلة بين أبنائها. وهذه هى المعاملة التى يرضى عنها الصغير والكبير والتى أمر بها الاسلام. وقد أمر بذلك لتزداد المحبة والترابط بين أفراد البيت جميعا وليعيشوا فى عشهم متحابين متكاتفين متعلقين بعضهم ببعض كتعلق المحب بالمحبوبة[1].

ان الاسلام ينكر الجفاء والتجهم مع الاولاد، ويفترض أن تعمهم الرحمة ويحيطهم الحنو والشفقة.

---

(١) مقداد يالجن: البيت الاسلامى. دار الهلال. القاهرة ١٩٧٢. ص ٩٤ — ٩٥.

قال أبو هريرة : قبل رسول الله ﷺ — الحسن بن على وعنده الاقرع بن حابس . فقال الاقرع : ان لى عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال : **من لا يرحم لا يرحم**[1]» .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قدم ناس من الاعراب على رسول الله ﷺ — فقالوا : تقبلون صبيانكم؟ **فقال : نعم** . قالوا : والله لكنا لا نقبل . فقال : **أو أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة**» (الشيخان) .

وهكذا يربي الطفل على الرحمة يأخذ منها فى الصغر ليعطيها فى الكبر حين يكون واليا أو والدا .

و إذا وجد فى المجتمع الاسلامى آباء ينظرون الى البنت نظرة تمييز عن الولد فالسبب فى هذا يعود الى البيئة التى رضعوا منها أعرافا فاسدة ، وتقاليد اجتماعية بغيضة يتصل عهدها بالعصر الجاهلى الذى قال الله تعالى فيه ﴿**وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون**﴾ (النحل : ٥٨ — ٥٩) .

والسبب فى ذلك أيضا يعود الى ضعف الايمان . وزعزعة اليقين ، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من اناث ، لم يملكوا هم ولا نساؤهم ولا من فى الارض جميعا أن يغيروا من خلق الله شيئا . يقول الله تعالى ﴿**لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء . يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير**﴾ (الشورى : ٤٩ — ٥٠) .

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين جـ٨ ص ١٤٢٨ .

ولكى يقتلع الرسول الكريم من بعض النفوس جذور الجاهلية، خص البنات بالذكر وأمر الآباء بحسن صحبتهن، والعناية بهن، والقيام على أمورهن، ليستأهلوا دخول الجنة. روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه)** أى كان قريبا من الرسول فى منزلته.

وكان العرب يأنفون أن يداعب الرجل وليدته، أو يسمح لها أن تمزح بين يديه وقد نقض الرسول الكريم تلك السنة السيئة، فلم يكن يضن بوقته الاعز أن يداعب فيه الولائد من بناته أو بنات صحابته. فى رواية ابن سعد عن أبى قتادة قال: «بينما نحن على باب رسول الله ﷺ اذ خرج رسول الله ﷺ يحمل أمامة بنت أبى العاصى — وأمها زينب بنت الرسول الكريم — وهى صبية. قال: فصلى رسول الله ﷺ وهى على عاتقه يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقه اذا قام حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها».

وكانت أمامة من أحب الناس الى الرسول الكريم وفى حديث ابن سعد أنه ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع فقال لاعطينها أحبكن إلى. فقلن: يدفعها الى ابنة أبى بكر فدعا بابنة أبى العاصى فعقدها بيدها. وحدثت أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبى وعلى قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ **(سنه سنه)** — وهى بالحبشية حسنة — قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فانتهرنى أبى، قال رسول الله ﷺ: **دعها**. ثم قال الرسول: **أبلى واخلقى**. فعمرت بعد ذلك ما شاء الله أن تعمر.

وفى حديث عنايته ﷺ بهن، وأمره ببذل الرحمة واسداء المعونة لهن، ما حدثت عائشة أم المؤمنين قالت: جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى، فلم تجد عندى غير تمرة واحدة. فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت. فدخل النبى ﷺ فحدثته، فقال: **«من ابتلى من هذه البنات بشىء كن له سترا من النار»**.

تربية الطفل

تعنى كلمة تربيـة التعليم أو توفير الاسباب للحصول علـى المعرفة أو للحصول على شخصيـة وأخلاق طيبة . وعلى الوسيلـة التى يستطيع بها الانسان أن يعيش حياة أفضل .

وبناءا على هـذا التعريف فالتـربية لا تعنى التعليم فـى حد ذاته ، وانما هى تعنيـه بالقدر الذى يـؤدى الى تنمية الشخصية . ومـن هنا فإن التربية لا تقتصر على الانسان بل انهـا تتعداه الى الحيوان أيضا (كما ورد فى قاموس أكسفورد ص ٣٨١) كما يمكن أيضا أن تتعداه الى النبات .

وترجع كلمة «التربية» فى أصلهـا اللغوى العربى الى الفعل «ربا» يربـو أى نما وزاد وفى القـرآن المجيد ﴿**وترى الارض هـامدة فإذا أنـزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾ (الحج : ٥) .

أى نمت وزادت لما يتداخلها من الماء والنبات .

وتقول ربـاه بمعنى نشـأة ونمى قـواه الجسديـة والعقلية والخلقيـة وفى القرآن الكـريم قال : ﴿**ألم نـربك فينا وليـدا ولبثت فينا مـن عمرك سنين**﴾ (الشعراء : ١٨) .

وتبدأ التـربية عمليا وعلميـا — قبل فترة المهـد فرحم الام هـو فى حقيقـة أمره أول مـؤسسة تـربـوية لانـه «البيئـة» الاولى التـى ينشأ فيهـا الانسان وعلى قـدر صلاحيتها يكون صـلاح الوليد ، وعلى قـدر فسادها يكون اختـلاله ومن ثم كـان حرص الاسلام علـى العناية بالاطفـال منذ

ميلادهم، بل لقد شملت عنايته مرحلة ما قبل الميلاد، ومن هنا كانت جريمة الزنا جريمة شنعاء بل ان الرجل والمرأة كليهما مأمور بغض النظر والاحتشام والمرأة خاصة عليها الكثير من حقائق ومظاهر العفة والصون والاحتشام.

قال الله تعالى ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم. ان الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ (النور: ٣٠ — ١٣).

ومرحلة الطفولة المبكرة مرحلة تربوية هامة فيها ينتقل الطفل من بيئة جسم أمه الى بيئة العالم الخارجى. كامل التكوين من الناحية الجسمية بمعنى أن أجهزة جسمه كاملة النمو وعلى استعداد للعمل[١].

وتمثل هذه المرحلة جانبا كبيرا من اهتمام مفكرى التربية فى كل عصر وذلك لان الاهتمام بها يعتبر من أهم المعايير التى يقاس بها المجتمع وتطوره، وهو فى الواقع مستقبل الامة كلها، كما أن اعداد الاطفال وتربيتهم هو اعداد لمواجهة التحديات الحضارية التى تفرضها حتمية التطور[٢].

---

(١) أحمد زكى صالح: علم النفس التربوى الطبعة التاسعة مكتبة النهضة ١٩٦٦، ص ١٠٩.
(٢) حامد عبد العزيز: دراسات فى سيكولوجية النمو الطبعة الثالثة عالم الكتب ١٩٧٤، ص ١٣.

كما ان القوى التربوية المختلفة تـؤثر فى شخصية الطفل فى هذه المرحلـة، أكثر من تأثيـرها فى كل مـراحل نموه الاخرى. ولهـذا حرص الاسلام على أن يؤدب الاطفال ويعودوا الاشيـاء الجميلة وعلى تربيتهم تربية فاضلة «ليكونوا ان قبلت طبـائعهم منفعة التأديب والتعاهد صاروا أخيارا فضلاء»[1].

وتستهدف التربية الاسلامية تحقيق غرضين. .

١— الغرض الـدينى، ويقصـد منه العمل لـلآخرة، حتـى يلقى العبد ربه. وقد أدى ماعليه من حقوق وواجبات.

٢— والغرض العملى الدنيـوى، وهو ما تعبر عنه التربيـة الحديثة بالغـرض النفعى، أو بالاعـداد للحياة، ويؤيده المـذهب البرجمـاسى الـذى ينسب اليـه كل مـن «جون ديـوى» «ووليـم هيركليـانوك» وينـزع البرجمـاسيون فى تـربية الطفل نزعـة عملية نفعية. فـالتربية الاسـلامية تقـوم علـى أساس تحقيـق غـرضيـن وهمـا الغـرض الدينـى والغـرض الـدنيوى. وبهـذا خالفـت التربيـة الرومـانية التـى كانـت تهدف الـى التعليميـن الحربـى والبلاغـى، وهما مـن الاغراض العمليـة، كذلـك خالفت التـربية الاسبرطية التـى تعد الاطفال للحياة الحـربية فحسب، والتربية الاثينيـة، التى كانت تعمـل على تعليم الشباب العلـوم العقلية والفلسفية، وهذه الاغـراض كلها دنيوية محضة. ويمكـن تفسير اتجاه التربية الاسلامية الى الغرضين الدينى والعلمى بأنها كانت مستوحاة من السياسـة الحكيمة، التـى رسمها القـرآن الكريمـة فى الآيـة الشريفـة: ﴿**وابتـغ فيمـا أتاك الله الـدار الآخـرة، ولاتنسـى نصيبـك من الـدنيـا**﴾ (القصص: ٧٧).

---

(١) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم ص ٣٣.

فالتربية الاسـلامية عنيت بالنواحى الدينية والخلقيـة والروحية فى التربيـة والتعليم ولـم تهمل العنايـة بالنـواحى الـدنيوية فـى معاهـدها ومناهجها ويتضـح هذا الغرض من كتـاب عمربن الخطاب الـى الولاة (أمـا بعد: فعلمـوا أولادكـم السباحـة والفـروسية ورووهـم مـا سارفـى المثل، وما حسن من الشعر).

فعمـر يأمـر بتعليم الاولاد السبـاحة والعـوم والفـروسية والـرياضـة البدنيـة، والمهارة الحـربية، والعنـاية بـاللغة العـربية، وروايـة الامثال السائرة، والشعر الحسن، وان أثر علمـاء الاسلام فى النهضة العلمية لا يستطيـع أن ينكره إلا كـل مكابـر متعصب. قـال «مـونرو» فـى كتابـه: (تاريـخ التربيـة) (ففى الطب والجـراحة وعلم العقـاقير والفلـك وعلم وظائف الاعضاء وصل المسلمون الى اختراعات هامة، واخترعوا ساعة البندول، وعلموا أوربا استعمال البوصلة والبارود).

ويقول جوستاف لوبون فـى كتابه «حضارة الاسلام» ان العرب أول مـن علم العـالم كيـف تتفق حـرية الفكـر مع استقـامة الـدين ويقـول فيلسوف آخر: «ان العلوم التـى تلقاها العرب من اليونـانيين وغيرهم — وكانت ميتة بين رفات الدفاتر مقبـورة بين جدران المقابر، أو مخزونة فى بعض الرؤوس كـأنها أحجار ثمينة فـى بعض الخزائن لاحظ لـلانسانية منها سوى النظر إليها — صـارت عند العرب حياة الآداب وغذاء الارواح وروح الثروة، وقوام الصحة ومهمـازا للقوى البشرية يسوقها الـى كمالها الذى أعدت له وليس فى الاوربيين مـن درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضـل فى اخـراج أوربا مـن ظلمة الجهـل الى ضيـاء العلم، وفـى تعليمهـا كيف تنظـر، وكيـف تفكـر، وفـى معـرفتها أن التجـربـة

والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم — انما هو للمسلمين وآدابهم، ومعارفهم التى حملوها إليهم. وأدخلوها من أسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا عليهم».

كان التاريخ قد سطر عداء العالم القديم للعلم. جاء فى دائرة معارف لاروس، (أما هم — يعنى الاقدمين — فيعتبرون أن العلم هو الشجرة الملعونة التى تقتل بأثمارها بنى آدم). وقد جاء الاسلام وحرر العلم من القيود التى كان يرسف بها، وأعلن أنه يجب أن يكون محبوبا مطلوبا، لا عدوا مطرودا. فتح الاسلام للعقول أبواب العلوم بأسرها. والمعارف بجملتها. قال تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** (النحل: ٤٣).

وقال جل شأنه: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** (فاطر: ٢٨).

فالتربية الاسلامية تربية مثالية حيث يدرس الطالب العلم لذات العلم، والادب لذات الادب، والفن لذات الفن، لان فى هذا لذة علمية أو أدبية أو فنية.

قال حاجى خليفة فى «كشف الظنون»: (والعلم ألذ الاشياء وأفضلها) وقال فى موضع آخر ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق فى هذه الدنيا، ولكن الغرض الوصول الى الحقيقة، وتقوية الخلق[1].

وهو يعنى الوصول الى الحقيقة العلمية والخلق الكامل.

فالتربية الاسلامية كانت مثالية تطالب بالعلم لما فيه من لذة روحية للوصول إلى الحقائق العلمية والاخلاق النبيلة. وان من ينظر الى ما خلفه المسلمون من تراث علمى وأدبى ودينى وفنى يجد أمامه ثروة خالدة لا نظير لها فى العالم كله، تدل على شدة تعلقهم بالعلم لذاته،

---

(١) حاجى خليفه: كشف الظنون: ص ١٦.

والادب لـذاته والفـن لـذاتـه، وليس معنـى هـذا أنهـم أهملوا التعليـم لكسب الرزق كلية، فلـم تهمل التربية الاسلامية اعـداد كل فرد لكسب رزقه فـى الحياة بـدراسة بعض المهـن والفنون والصنـاعات والتـدريب عليها ويظهـر هذا واضحـا فى قول ابـن سينا (اذا فـرغ الصبى مـن تعلم القرآن وحفـظ أصول اللغة نظـر عند ذلك الى مـا يراه أن تكون صنـاعته فيوجه لطريقـه ويعد اعدادا مهنيا أو فنيا أو صناعيا حتـى يجيد مهنة من المهن أو فنا من الفنون أو صناعة من الصناعات حتى يتمكن من كسب رزقه ويحيا حياة شريفة مع المحافظة على الناحية الروحية والدينية.

فالتربية الاسلامية كانت خلقيـة غالبا ولكنها لـم تهمل اعداد الفرد للحياة، وكسـب العيش والـرزق.. ولم تنـس تربيـة الجسم والعقـل، والقلب والوجدان والادارة والذوق واليد واللسان والشخصية[1].

التربية الدينية:

فى الطفـولة يجب بذر الـدين الصحيح وتـأكيد أساسه فـى نفوس الاطفال بقدر ما يطيقون.

ولابد من التدريب على شعائر الدين واعطاء القدوة فى ذلك.

يقول الرسول: (**مروا أبناءكم بالصلاة وهـم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع**) (الطبرانى).

ان التربية الدينيـة بما تغرسه فى النفوس مـن عقائد راسخة وتطبعه فيهـا من ايمـان صحيح يحملهـا على التـزام طـاعة الله بـامتثال أوامـره

(١) محمد عطية الابراشى: التربية الاسلامية وفلاسفتها دار الفكر العربى. ص ٢٤.

واجتناب نواهيه، وعلى التحلى بمكارم الاخلاق، لا رياء ولا نفاقا، ولا عجبا ولا خيلاء، بل ابتغاء رضوان الله، وعلى مراقبة الله وحده، وخشيته فى السر وفى العلن، هذه التربية هى الحصن الحصين الذى يقى البشرية شرور أنفسها وهى التى تهذب النفوس، وتكبح جماحها وهى التى تنشر بين الناس احترام الحقوق، وحب الخير، لا عن خوف ورهبة، ولكن عن طاعة ورغبة، وهى مصدر السعادة فى الدنيا والآخرة واذا فسد أمر هذه التربية، وضعف الوازع الدينى أو مات، فالويل للناس، وعلى استقامة أمورهم العفاء ولن يغنى غناءها شىء من المواصفات مهما كان سلطانها ولا أى قانون وضعى، وأن احكم وضعه واشتد القائمون على تنفيذه.

واذا كانت التربية الدينية الصحيحة فى ذاتها من أول ما تمس إليها حاجة البشر، فإنها اليوم فى طليعة الضروريات التى لا يصح بحال أن يتهاون فى أمرها. ومن الواجب أن تنال من العناية فى حزم واسراع ما يليق بمكانتها، وما يتفق ومقدار الحاجة إليها. فالعالم قد أصبح مغمورا بتيارات من المادة والمقاصد المادية المحضة، وجرت فى جنباته أمواج من الاباحيات والوجوديات مختلف ألوانها، وانتشرت فى أجوائه ما يغرى بالشهوات والرذائل اشكالا وألوانا، ولكل لون منها دعاته وسدنته، والانسان لن ينال مناعته ازاء هذه الاوبئة الوبيلة الا عن طريق التربية الدينية، وغرس الوازع الدينى فى النفوس، وتقويته حتى يصبح صخرة متينة تتحطم عندها هذه الشرور.

والمدرسة الاولى لهذه التربية هى الاسرة. ففيها وحدها يوضع حجر الاساس وفيها وحدها يشيد هذا البنيان، حيث تكون الطفولة

عجينة طيعة تتقبل ما يعطى لها من الصور والاشكال، فضائل كانت أو رزائل، وحيث تكون النفوس أرضا براحا تثبت فيها البذور التى تبذر فيها، بذور صلاح أو بذور فساد، حيث تكون القلوب أوانى فارغه اذا ملئت بشىء احتوته وأمسكته، خيرا كان أو شرا، ومن شب على شىء شاب عليه. والمسؤول الاول عن هذه التربية هو رب الاسرة، لذلك فرض الاسلام على كل مسلم أن يعنى بتربية أسرته التربية الدينية الصحيحة. وأن ينشر فيها تعاليم الدين وفضائله بالقول والعمل. فإن فرط فى شىء من ذلك حل عليه غضب ربه، واستحق نقمته، فقد ولاه أمر هذه الاسرة، وتهدده أن يضيعه إذا هو ضيعها، وليس وراء ضياعها فى دينها ضياع، وقد استرعاه هذه الاسرة فلم يحطها بعنايته ونصيحته فى أغلى ما يكفل سعادتها — ورسول الله ﷺ يقول: (**من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة**).

وقال عليه الصلاة والسلام: (**والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**) (رواه البخارى ومسلم).

وقال: (**مروا أولادكم بامتثال الاوامر، واجتناب النواهى، فذلك وقاية لهم من النار**) (رواه ابن جرير).

وأول ما يجب على رب الاسرة نحو أسرته فى هذا الصدد أن يبدأ بنفسه، فيصلحها بالمواظبة على الفرائض واجتناب المحارم، والتخلق بأخلاق الدين، والتأدب بآدابه، ليكون لهم فيه أحسن القدوة، وليربى فى نفوسهم بالطريقة العملية حب الاعمال الصالحة، والرغبة الصادقة فى التحلى بها.

فهو رب الاسـرة وعائلها ، فلـه فى نفوسهـم المكانة الاولـى ، وهو موضـع حبهم واعـزازهم ، ومعقد اعتـزازهم وفخرهـم واعجابهـم ، فهو قدوتهـم المثلى ، ومثلهـم الاعلى ، فـإن هو أخـذ نفسه بهـذه الطريقـة الصالحة ، فقد تظاهرت عوامل الهـداية والتهذيب وتساندت ، فيسيرون أولا على سنته اقتـداء به ، ثم لا يلبثون الا يسيـرا حتى تفقه نفوسهـم هذه الصالحـات فيؤدوهـا عن عقيدة خـالصة وايمان كـامل . أمـا اذا نصح وأرشـد . وأمر ونهـى ، ثم هـو فى الـوقت نفسـه يجتنب مـا يأمـرهم بـه ويخالفهـم الى ما ينهـاهم عنه ، كـانت لهـم فيه أسوأ قـدوة ، واقتلعت أعماله ما غرست أقواله وجعلت نصائحه وارشاداته هباء منثورا .

والاطفال المميـزون الذين لم يبلغـوا الحلم ليسوا بمكلفيـن ولكن عليه أن يعلمهم فرائض دينهم ، وما يحتـاجون إليه فى آدائها ، وعليه أن يـؤدبهـم بـآداب الـدين . ومكـارم الاخـلاق ، وعليـه أن يعـودهـم آداء الطاعات لتألفهـا نفوسهم . واجتناب المعاصى ليـألفوا البعد عنها ، ولا يحل لـه أن يتركهم فيتناولـون من الطعام والشـراب مالايحل لهم تنـاوله بعد البلوغ . وهذا أيضـا هو حكم اللباس ويأخذهم فى هـذا كله باللين واللطف ، ثم بالموعظة الحسنة ، ثم بالشدة والعنف ، ثم بالضرب[١] .

التربية الخلقية :

نقصد بـالتربيـة الخلقية مجموعـة المبادىء الخلقيـة ، والفضائل السلوكيـة والوجـدانية التـى يجب أن يتلقنهـا الطفل ويكتسبهـا ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله الى أن يصبح مكلفـا الى أن يتدرج شابا الى أن يخوض خضم الحياة .

---

(١) محمد أحمد فرج السنهورى : الاسرة فى التشريع الاسلامى ص ٥٤ — ٥٦ .

ومما لاشك فيه، أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هى ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة[1] .
والتربية الخلقية هى روح التربية الاسلامية، والوصول الى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية، وليس معنى هذا أن نقلل من العناية بالتربية الجسمية أو العقلية أو العلمية أو العملية، بل معناه أن نعنى بالتربية الخلقية، كما نعنى بالانواع الاخرى من التربية، فالطفل فى حاجة الى قوة فى الجسم والعقل والعلم والعمل، وتربية الخلق والوجدان والادارة والذوق والشخصية.

وقد اتفق علماء التربية الاسلامية على أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات، وتعليمهم من المواد الدراسية مالم يعلموا بل الغرض أن تهذب أخلاقهم وتربى أرواحهم. وتبث فيهم الفضيلة، وتعودهم الآداب السامية وتعدهم لحياة كلها طهارة واخلاص، فالغرض الاول والاسمى من التربية الاسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح. وكل درس يجب أن يكون درس أخلاق، وكل معلم يجب أن يراعى الاخلاق الدينية قبل أى شيء آخر. والاخلاق الدينية هى الاخلاق المثالية الكاملة. والخلق النبيل عماد التربية فى الاسلام.

ويرى الغزالى (ان الغرض من التربية التقرب الى الله دون الرياسة. والمباهاة وألا يقصد المتعلم بالتعلم الرياسة والمال والجاه، ومجاراة السفهاء، ومباهاة الاقران، وهو لا يخرج عن التربية الخلقية).

ومن الممكن أن نلخص الغرض الاساسى من التربية الاسلامية

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الاولاد فى الاسلام جـ ١، ص ١٧٧.

فى كلمة واحدة هى الفضيلة[1].

يقول الرسول ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** (من حديث أبى هريرة).

روى الترمذى عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **(ما نحل — أعطى — والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن)**.

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ: **(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)**.

والدين بلا أخلاق لا ثمرة له، والاخلاق بلا دين لا جذور لها. وقد قال كونفشيوس الفيلسوف الصينى الاخلاقى الكبير (ان تربية النفس والتزام المقاييس الخلقية بين المرء ونفسه هما الجذور التى ثبتت السلوك الاجتماعى السليم وهكذا نرى أن الدين حين يعنى بالتربية الخلقية يثبت أنه العامل الحاسم الذى يؤثر فى الحياة الاجتماعية).

ومن الامور المادية الضرورية للنمو الاخلاقى استعمال الاطعمة والاشربة المناسبة. وقد كشف البحث العلمى الحديث عن العلاقة الجوهرية بين أخلاق الناس وأطعمتهم. والروح ليست منفصلة عن الجسد ولكنها ترتبط به ارتباطا جوهريا. والمبدأ القائل بأنهما معا ينموان من نفس البذرة التى تودع فى مكان من جسم الانسان عينته إرادة الله، هذا المبدأ يقتضى أن الطريقة التى تشبع بها الرغبات

---

(١) محمد عطية الابراشى: التربية الاسلامية وفلاسفتها ص ٢٢.

الجسدية تؤثر بدورها فى نمو الروح . ولذلك يؤكد الاسلام ضرورة تحرى الاطعمة والاشربة النظيفة ، وتجنب الاسراف والمغالاة فيها ، ولما كان بعض الاطعمة والاشربة ضارا بالبدن والروح دون شك ومؤديا الى ضراوة الطباع والعادات فقد حرمها الاسلام . يقول الله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** (المائدة : ٩٠) .

ويفصل القرآن الاطعمة المحرمة فى قوله تعالى :

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق﴾ (المائدة : ٣) .

وتشمل المحرمات كل ما يفسد الجسد أو يؤذيه وبالتالى كل ما يصل بفساده الى الروح . كما منع الاسلام منعا باتا تقديم الضحايا للاوثان بنفس الروح التى منع بها أكل اللحوم القذرة المنتنة . أما الاطعمة المباحة فقد وضع قاعدة واضحة تبينها . فقال القرآن الكريم :

﴿يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ، ان الله سريع الحساب﴾ (المائدة : ٤) .

ولعل سر تفوق القوانين السلوكية القرآنية يكمن فيما يفرضه من قيود على رغباتنا وشهواتنا وفى تنظيم استهلاك الاغذية بما يمكننا من تحقيق حياة أخلاقية مثالية ومن ثم فهو لا يوافق على المذهب «الابيقورى» (كل واشرب واستمتع) ويقرر بديلا عنه مبدأ تعبر عنه الآيات :

— ﴿**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، انه لا يحب المسرفين**﴾ (الاعراف: ٣١).

— ﴿**ياأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين**﴾ (البقرة: ١٦٨).

— ﴿**ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق**﴾ (الانعام: ١٢١).

ويعمل الاسلام على اصلاح طبيعة الفرد وتهذيبه والتخلص من ضراوة طباعة، واذا اتجهت نفس المرء الى السلام والمحبة فإنه لاشك نافر من النزاع والخلاف مع سواه ويرغب الله المسلمين فى فضيلة «المسالمة» فيقول:

— ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾ (الانفال: ١).

— ﴿**والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما**﴾ (الفرقان: ٧٢).

— ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾ (الفرقان: ٦٣).

وهذا التقدير الكبير الذى يخص به الاسلام فضيلة المسالمة كفيل بتهدئة نزوة الغضب فى نفس المسلم ازاء عدوان الغير.

كذلك يحرم الاسلام الكبر الذى قد يثير فى نفوس الآخرين الغضب ويعكر صفو العلاقات الاجتماعية.

— ﴿**يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الامور. ولاتصعر خدك للناس ولاتمش**

في الارض مرحا، إن الله لايحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك، ان أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان: ١٧ — ١٩).

وحرص الاسلام على العفو عمن أساء للمسلم أو ألحق به الضرر واعتبره من أمهات الفضائل لانه يقوى دعائم العلاقات الاجتماعية.

وقد ذكر الاسلام صفات المؤمن الحق فذكر من بينها العفو في قوله تعالى: **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾** (آل عمران: ١٣٤).

والصدق من الصفات الخلقية التي يحرص الاسلام على أن يتحلى بها المسلم، ولذلك اهتم القرآن بالحديث عن الصدق والدعوة إليه.

— **﴿الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار﴾** (آل عمران: ١٦ — ١٧).

— **﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** (التوبة: ١١٩).

— **﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما﴾** (الاحزاب: ٢٤).

— **﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾** (الاحزاب: ٣٥).

وحمل القرآن حملة شديدة على الكذب والكاذبين . قال تعالى :

— **﴿فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون﴾** (التوبة : ٧٧) .

— **﴿وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب﴾** (غافر: ٢٨) .

فى هذه الآيات حملة شديدة وقارعة على الكذب والكاذبين ، ولعنة عليهم وانذارا لهم بأشد أنواع العقوبات والسخط الربانى فى الدنيا والآخرة . كما فيها تنويه بالصدق والصادقين واشادة بهم وتطمينهم برضوان الله ، وحسن مثوبته ، وتكريمه فى الدنيا والآخرة أيضا .

وقد عد الاسلام الكذب من خصائل النفاق . روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

(أربع من كن فيه منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان . وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) .

والكذب خيانة . روى أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق ، وأنت به كاذب)** .

واذا كان هذا شأن الكذب والكذابين فإن على الآباء والامهات أن ينفروا أبناءهم منه ، وينهوهم عنه ، ويحذروهم عواقبه ويكشفوا لهم عن مضاره وأخطاره حتى لايقعوا فى حبائله ، ويتعثروا فى أوحاله .

التربية العقلية:

نقصد بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما نافع من العلوم الشرعية والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج الولد فكريا ويتكون علميا وثقافيا.

وقد حمل الاسلام الآباء والمربين مسؤولية تعليم الاولاد، وتنشئتهم على التزود بالعلم والثقافة. وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب، والمعرفة المجردة. وبهذا تتفتح المواهب، ويبرز النبوغ ومن المعلوم تاريخيا أن أول آية نزلت على الرسول الكريم هذه الآيات:

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم﴾ (العلق: ١ — ٥).

يأمر بالقراءة.. والقراءة طريق العلم والمعرفة، ثم يرشد الى الاستعانة عليها باسم «الرب» مفيض التربية ووسائلها على جميع الخلق، فيشعر الانسان بعزة شأنها ورفعة قدرها، وانها من الشؤون العظمى، ذات البال والخطر، ثم يذكر خلقه وتكوينه فى هذا المقام ويردفه بنعمة العلم **﴿الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم﴾**.

وبذلك يسوى بين نعمة الخلق والايجاد، ونعمة العلم، ويكون ذلك ايحاء بأن المخلوق الجاهل لا اعتداد بوجوده فى هذه الحياة. وتنويها بشأن القلم ومكانته فى العلم والمعرفة، يقسم به الله تعالى فى معرض تبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام، من أفدح التهم الباطلة التى ألصقها القوم به عليه السلام، وهى تهمة الجنون: **﴿ن، والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾** (القلم: ١ — ٢).

وكما يطلب القراءة على الاطلاق دون تقييد بمقرؤ مخصوص، يطلب العلم والنظر على الاطلاق، دون تقييد بمعلوم مخصوص. أو منظور مخصوص **﴿قل: هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** (الزمر: ٩).

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (. . . **ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة)**.

وروى الترمذى عن أبى امامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم. . . ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير﴾**.

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**.

ويرشدنا هذا الاطلاق الى أن العلم فى نظر الاسلام ليس خاصا بعلم الشرائع والاحكام من حلال وحرام، وانما العلم فى نظره هو ادراك يفيد الانسان توفيقا فى القيام بمهمته العظمى التى ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه، وجعل خليفة فى الارض وهى عمارتها، واستخراج كنوزها، واظهار أسرار الله فيها.

فإدراك ما يصلح به النبات وينمو ويثمر، وما تستنبت به الارض وتحيا، علم وادراك ما يصلح الحيوان، ويستمر به نسله، وتتصل قوته علم.

وادراك الطرق المشروعة التى تحصل بها الاموال، والتى تنظم بها أمورها، ومصارفها علم.

وادراك موارد الصناعة على اختلاف أنواعها وكيفياتها وتوزيعها علم.

وادراك الامراض وعالمها وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها علم.

وادراك ما تعرفه الامم من وسائل الدفاع والهجوم، حفاظا للاوطان ودفعا للعدوان علم.

وقد جاء الايحاء بهذا كله واضحا جليا فى القرآن الكريم وبه كان العلم — بمعناه الشامل — العنصر الاول من عناصر الحياة فى نظر الاسلام.

وقد أدرك المسلمون الاولون ايحاء القرآن فى كل ذلك، فأدركوا قيمة العلم ومنزلته وضرورته فى سعادة الامم والافراد: كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب فجدوا فى محو أميتهم بكل الوسائل حتى أطلقوا سراح الاسير اذا هو علم عددا من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وأطلقوا لانفسهم سراح النظر فى الكائنات، فأدركوا منها ما يسعدهم فى الحياة، ويجعلهم أئمة يهدون بأمر الله[1].

والاسلام يجعل التعليم اجباريا و إلزاميا.

روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) ولفظ المسلم فى الحديث عام يشمل الذكر والانثى على السواء.

وروى الطبرانى فى الكبير عن علقمة عن أبيه عن جده. قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: **ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم،**

---

(١) محمود شلتوت: منهج القرآن فى بناء المجتمع ص ٦٣ — ٦٤.

ولا يأمـرونهم، ولا ينهونهـم، ومابال أقـوام لا يتعلمون من جيـرانهم، ولا يتفقهـون، ولا يتعظـون، والله ليعلمـن قـوم جيـرانهـم، ويفقهـونهـم، ويعظـونهم، ويـأمرونهـم، وينهونهـم، وليتعلمـن قوم مـن جيرانهـم، ويتفقهون، ويتعظون، أو لاعاجلنهم العقوبة) وروى ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من كتم علما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)**.

فإذا كـان طلب العلـم — فى نظـر الاسلام — فـريضة علـى كل مسلـم ومسلمة — وإذا كـان المستنكـف عـن تعلم العلـم أو تعليمـه مهددا من قبـل الشرع بالعقوبة واذا كـان من يكتم العلم النـافع ملجما بلجام من ناريوم القيامة. أفلايـدل كل هذا على ان الاسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمـه واجبا إلزاميا؟ وبتـوجيهات الشارع نحو التكـافل فى العلم والمعرفـة ساح العلماء من الصحابة والتابعيـن منهم من ينشر العلم، ومنهم من يطلبـه، ثم شاعت حركة الـدرس فى المساجد ودور العلم التى كانت مفتوحة الابواب لكل متعلم.

وكان الاطفال مـن جميع الطبقات فى العالم الاسـلامى يقصدون دور العلم ويلتحقون بها دون قيد ولا شرط وبمجـانية كاملة وكان يصرف لهم الغـذاء والكساء، وكان طـلاب المدارس العليـا يتقاضون مـرتبات لسـد حاجـاتهـم ونفقاتهـم الخـاصـة، وكان المنهـج الـدراسى غنيـا بمختلف الفنون وطريقة التدريس فيها تعتمد على المناقشة الحرة.

وفـى ظل تلـك التـوجيهات وتلـك المعانـى بلغـت الجامعـات الاسلامية مرتبة رفيعـة لـم يكن لها مثيل فى ذلك الحين فـى بلاد العالـم مما جعل الاوربيين ينظرون اليها على أنها الصورة المثالية للجامعات، وانها تمثل التعليم الجامعى الصحيح الذى ينبغى أن يتبع.

وقصد هذه الجامعات طلاب العلم من مختلف البلاد في الدول الاسلامية، كما قصدها أيضا طلاب العلم من أوربا فقد كان الكثير منهم يقصد مدينة قرطبة الاسلامية ليلتحقوا بحلقات الدرس في معاهدها في مختلف المواد. كما كان الازهر محط رجال الدين من مختلف أنحاء العالم الاسلامي.

والى جوار المعاهد والجامعات ودور العلم كانت المكتبات العامة تزخر بنفائس الكتب في مختلف الفنون والعلوم غير مقتصرة على كتب العلوم الدينية، وانما شاملة لكل نواحي الثقافة والمعرفة. وكانت المكتبات في المساجد والمعاهد مليئة بالعديد من الكتب، كما كانت في متناول يد كل راغب في الاطلاع.

ويجمع علماء الشريعة على أن العلم المطلوب في الشرع نوعان:

١ — ما هو فرض عين: أي كل مايطلب تعلمه وجوبا من كل فرد مكلف ولا يعذر أحد في الجهل به، وهو ما يحتاج اليه الانسان في إقامة دينه وقبول عمله عند الله تعالى، واستقامة معاملته ومعاشرته للناس. ويدخل تحت ذلك كله تعلم أحكام العبادات. وتعلم أحكام المعاملات عمن يمارسها وكذا أهل الحرف.

٢— ما هو فرض كفاية: وهو ما يحتاج إليه المجتمع من غير نظر الى شخص بذاته. كتعلم الصناعات التي يحتاج إليها الناس. وتعلم المهن التي لابد للناس منها من خياطة وطب وفلك وصيدلة وغيرها على قدر ما يحتاجون إليه فإن لم يكن فيهم من يتعلم كانوا آثمين جميعا.

قال الغزالى فى كتابه «احياء علـوم الدين» : أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوم أمور الدنيا، كالطب، اذ هو ضرورى فى حاجـة بقاء الابـدان وكالحساب فـإنه ضرورى فـى المعامـلات وقسمة الوصـايا والمواريث وغيـرها. وهذه هى العلـوم التى لو خلا البلـد ممن يقوم بها حرج (أثـم) أهل البلد. واذا قام بها واحد كفـى وسقط الفرض عن الآخـرين فـلا يتعجب مـن قولنـا ان الطب والحسـاب من فـروض الكفايات كالفلاحـة والحياكة والسياسة بل والحجامة والخيـاطة، فإنه لـو خـلا البلد مـن الحجـام تسـارع الهـلاك إليهـم، وحرجـوا (أثمـوا) بتعريضهـم أنفسهم للهلاك، فـإن الذى أنـزل الداء أنزل الـدواء وأرشد الـى استعمالـه، وأعـد الاسباب لتعـاطيه فـلا يجـوز التعرض للهـلاك بإهماله.

وقال ابـن عابدين : وأمـا فرض الكفايـة فى العلم فهو كـل علم لا يستغنـى عنه فـى قـوم أمور الـدنيـا كالطـب والحسـاب واللغة وأصـول الصناعات — كالفلاحة، والحياكة «النسيج» والحجامة.

ويتبين مـن هذه النصوص أن القاعـدة فى العلوم التى هـى فرض كفـاية هـى كل مـا يحتاج إليـه فى شـؤون المجتمع مـن تجارة وطـب واقتصاد وهندسـة وكيمياء وكهرباء وكـذلك صناعة الاسلحـة والذخائر وجميع أنـواع الصناعات. ومـا اقتصروا عليه مـن ذكر الحياكـة والطب والفلاحـة والحساب فإنما هـو للتمثيل بالنسبة لمـا كانوا يحتاجـون إليه فى عصـورهم. وقد جدت حـاجات لعلوم كثيـرة فى عصرنا فتعتبـر من فروض الكفاية بحيـث يجب على الأمة أن يكون فيها مـن العلماء بتلك العلوم ما يكفى لحصول الأمة على ثمار تلك العلوم.

٣ــ العلم المندوب والمباح : وما عدا هذين النوعين من العلم فهو مندوب أو مباح كتعلم مازاد عن الفرض العين فى شؤون الدين ، أو تعلم ما قام بـه غيره من فروض الكفاية ، فإن ذلك مندوب . وكالتوسع فى الثقافة فى مختلف العلوم فإنه مباح ، فإذا اقترن به نية التقرب الى الله أو خدمة المجتمع فهو مندوب .

ومن الواجب التعليمى الذى يجب أن يحرص عليه المربون والمعلمون والآباء ، هو التركيز فى الدرجة الاولى على تعليم الاولاد وهم فى سن التمييز ــ تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وكل ما يحتاجون إليه من العلوم الشرعية ، وبعض القصائد الادبية ، وأمثال العرب .

روى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال : **(أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم . وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن . فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لاظل إلاظله)** .

وانطلاقا من هذا الامر النبوى حرص المسلمون فى كل العصور عبر التاريخ على تعليم أولادهم هذه العلوم الاساسية والمواد الضرورية .

وقد أوصى الغزالى فى «احياء علوم الدين» بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخيار ، وحكايات الابراء ، ثم بعض الاحكام الدينية ، والشعر الخالى من ذكر العشق وأهله .

وذكر ابن سينا فى كتاب «السياسة» آراء قيمة فى تربية الاولاد ونصح بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسميا وعقليا

للتعليم. وفى الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة، ويدرس قواعد الدين، ثم يروى الشعر، ويبتدىء بالرجز ثم القصيدة، مما يعين فى التأدب والتهذيب وفيه بيان فضل الادب والحث على البر وعمل المعروف وكل ما فيه من مكارم الاخلاق.

ويرى ابن سينا فضل التعليم الجمعى على الفردى لانه أدفع لسأمة المؤدب وملل الطفل معا، ولان اختلاط الصبى بأقرانه ادعى الى انشراح عقله، وتفتح فهمه بالمحادثة والمرافقة وما فى ذلك من اشارة المحاكاة والمساجلة والمبارة. وما فيه من تحريك هممهم، وابتعاث نشاطهم.

وقد نص على فضل التعليم الجمعى معظم رجال التربية قديما وحديثا حيث يرون أن للتعليم الجمعى محاسن عديدة أهمها:

أولا: يحقق مبادىء الاقتصادى اذ يحتاج لاقل عدد من المدرسين بعكس التعليم الفردى.

ثانيا: يربى فى التلاميذ روح المناقشة ويحملهم على الدخول فى ميادين المناقشات العلمية.

ثالثا: ينفث فى الاطفال روح الجماعة ويساعد على تربية كل فرد منهم تربية اجتماعية حقيقية.

رابعا: يوجد بين التلاميذ الالفة والمحبة كما أنه يعودهم على النظام والتعاون.

ويرى ابن سينا بعد فراغ الصبى من المرحلة الاولى أن ينظر إلى مايراه أن تكون صناعته، فيوجه بحسب ذلك، فإن أريد به الكتابة مثلا

أضيف الى دراسة اللغة ودراسة الرسائل والخطب ومساجلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك، وأن يعلم الحساب ويدخل به الديوان ويعنى بخطه، وأن أريد به وجهة أخرى أخذ فيها.

ويرى أن على المؤدب فى هذه المرحلة أن ينظر الى استعداد الطالب وما يصلح له من الصناعات والاعمال فيوجهه بحسب ميوله واستعداداته وهو يضرب لنا الامثلة فى تباين الملكات واختلاف المواهب وأن الذى لا يعينه استعداده على صناعة من الصناعات أو علم من العلوم يتعذر توجيهه إليه مهما بذل فى سبيله من جهد وانفق من مال.

ان ما قصده ابن سينا هو ما نسميه اليوم بالتوجيه المهنى والذى يهدف الى توجيه المتعلم الى المهنة التى تناسب امكانياته وتكون له فى ممارستها لذة حقيقية[1].

وتحدث ابن خلدون عن أهمية تحفيظ القرآن. وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم لانه شعار من شعائر الدين الذى يؤدى الى رسوخ الايمان، وغرس الاخلاق الكريمة.

ان على المدرسة الاسلامية ان تجعل القرآن أساسا للتكوين العلمى واللغوى منذ المرحلة الاولى من مراحل التعليم، لا لأن القرآن كتاب الاسلام الاول فحسب، ولكن لأن القرآن هو العامل الاساسى فى التكوين اللغوى السليم كما هو الاساس فى قيام المعارف والثقافة من خلال رؤية اسلامية صحيحة. وهو فى الوقت نفسه العامل الرئيسى فى تكوين الشخصية الاسلامية المتميزة بقيمها ومبادئها.

---

(١) راتب السعود: الفكر التربوى عند ابن سينا. مجلة الوعى الاسلامى العدد ٢٥٣ محرم

من القواعد التى وضعها الاسلام فى تعليم الولد، البدء بتعليمه فى مراحل الطفولة الاولى حيث يكون الولد أصفى ذهنا. وأقوى ذاكرة، وأنشط تعليما.

ويؤكد علماء النفس والتربية أن الطفل الذى لايلعب هو الطفل المعقد غير السوى. لذلك نرى أن التربية الاسلامية تحث على أن يعود الطفل على اللعب.

يقول الغزالى: «وينبغى أن يعود الطفل فى بعض النهار المشى والحركة، حتى لا يغلب عليه الكسل. وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب، ومنع الصبى من اللعب و إرهاقه بالتعليم دائما، يميت قلبه، ويبطل ذكائه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا[١].

ويقول ابن مسكويه (وينبغى أن يؤذن للطفل فى بعض الاوقات أن يلعب لعبا جميلا إليه من تعب الأب، ولا يكون فى لعبه ألم ولا تعب شديد، فالرياضة تحفظ الصحة وتنفى الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتذكى النفس[٢].

و إذا كان الاسلام قد أذن للفتاة أن تتعلم ما ينفعها فى أمر دينها ودنياها فيجب أن يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور، حتى يسلم للفتاة عرضها وشرفها، وحتى تكون دائما حسنة السمعة، كريمة الخلق كثيرة الاحترام.

---

(١) الغزالى: احياء علوم الدين جـ٣ ص ٦٢ — ٦٣.
(٢) ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق ص ٣٠.

وقد ذكر «القابس! فى رسالتـه عن التعليم : (ان من حسـن النظر ألا يخلط بيـن الذكران والاناث) ولمـا سئل (ابن سحنون) عـن التعليم المختلط ذكـورا واناثـا قال : (أكـره أن يعلم الجـوارى مع الغلمـان لان ذلك فساد لهن).

وقـد أثبتت مجمـوعـة من الـدراسات والابحـاث الميـدانية التـى أجريـت فى كل مـن ألمانيا الغـربية وبريطـانيا انخفاض مستـوى ذكاء الطلاب فـى المدارس المختلطـة (بنين وبنات) واستمـرار تدهـور هذا المستوى . وعلـى العكس مـن ذلك تبيـن أن مدارس الجنـس الواحـد يرتفع الذكاء بين طلابها .

ذكرت الدكتورة «كـارلس شوستر» خبيرة التربية الالمـانية أن توحد نوع الجنس فى المـدارس يؤدى الـى اشتعال المنـافسة بيـن التلاميـذ وبعضهم البعض أو بيـن التلميذات أما اختلاط الاثنين معـا فيلغى هذا الدافـع ، وأضافت أن الغيـرة تشتعل بين أبنـاء الجنس الواحـد عنها اذا اختلط أبناء الجنسين .

كما أكدت دراسة أجرتها النقابة القـومية للمدرسين البريطانيين أن التعليم المختلـط أدى الى انتشار ظـاهرة التلميـذات الحوامل سفـاحا وعمـرهـن أقـل مـن ١٦ عـاما . كمـا تبيـن أن استخـدام الفتيـات فـى المدارس لحبـوب منع الحمل تـزايد كمحاولـة للحد من الظـاهرة دون علاجها واستئصال جذورها .

وأوضحت دراسة نقابة المدرسين البـريطانيين تزايد معدل الجرائم الجنسية والاعتداء على الفتيات بنسب كبيـرة . وقالت الدراسة أن هناك تلميذا مصابا بـالايدز فى كل مدرسة كما أشارت الـى السلوك العدوانى الذى يزداد عند فتيات المدارس المختلطة . وهناك دراسة أخرى أجراها

معهد أبحاث علم النفس الاجتماعى ببون أثبتت أن تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة لا يتمتعون بقدرات ابداعية وهم دائما محدودو المواهب قليلو الهوايات، على العكس من ذلك تبرز محاولات الابداع واضحة بين تلاميذ مدارس الجنس الواحد. فنجد هوايات البنين واضحة فى الرسم والموسيقى ولعب كرة القدم. وكذا هوايات البنات.

وقد أوضح بحث ميدانى أذاعته احدى قنوات التلفزيون البريطانى أن تلميذات وتلاميذ المدارس المختلطة يعجزون عن التعامل مع العالم الخارجى وأنهم انطوائيون ينتابهم الخجل دائما ولا يحسنون اقامة علاقات اجتماعية مع أقرانهم[1].

العقوبة فى نظر علماء الإسلام :

الغرض من العقوبة فى التربية الاسلامية الارشاد والاصلاح لا الزجر والانتقام، ولهذا حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الاقدام على معاقبته، وشجعوه على أن يشترك بنفسه فى أن يصلح الخطأ اذا أخطأ وتناسوا غلطاته وهفواته بعد اصلاحها.

وان روح الرفق والعطف والشفقة تظهر بوضوح فى التربية الاسلامية عند معاقبة الطفل. فقد اشترطوا للعقوبة البدنية عدة شروط هى :

أولا: ألا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن.

ثانيا : ألا يزيد الضرب على ثلاثة أسواط (وأعتقد أن المقصود بالاسواط هنا العصى لا الاسواط النوبية).

---

(١) مجلة الرابطة العدد ٢٧٤ لسنة ٢٦ جمادى الاولى ١٤٠٨هـ.

ثالثا : أن يعطى الطفل الفرصة فى أن يتوب عما فعل ويصلح الخطأ دون الالتجاء الى ضربه والتشهير به .

ومن هنا يتضح بعد النظر فى التربية والشفقة والرأفة فى معاملة الطفل وأن روح العطف فى معاقبة الطفل لم يمنع من استعمال الحزم والشدة وأساليب القسوة معه لزجره اذا اقتضت الضرورة ذلك .

وقد عنى فلاسفة التربية الاسلامية بموضوع العقوبة عناية كبيرة سواء أكانت عقوبة معنوية أم كانت بدنية وأجمعوا على أن الوقاية خير من العلاج . ولهذا نادوا باتخاذ كل وسيلة لتأديب الاطفال وتهذيبهم فى الصغر حتى يعتادوا أحسن العادات فى الكبر فلا نحتاج الى أن نعاقبهم .

ويرى ابن سينا فى كتاب «السياسة» : أنه يجب البدء بتربية الطفل ، وتعويده الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة ، لان من الصعب أن يتخلص منها اذا اعتادها وتمكنت فى نفسه .

واذا اضطر المربى الى الالتجاء الى العقوبة وجب عليه أن يحتاط كل الحيطة ويتخذ الحكمة فى تحديدها . وقد نصح ألا يعاقب المعاقب بالشدة والعنف فى البدء بل باللين واللطف ويستعمل معه الترغيب تارة والتخويف تارة أخرى ، ويستخدم العبوس والتوبيخ والتأنيب إذا اقتضى الامر . وأحيانا يكون النصح والتشجيع أو المدح أجدى أثرا فى الاصلاح من التوبيخ والتأنيب . ومعنى هذا أنه يجب أن يعامل كل طفل المعاملة التى تناسبه ، وأن تدرس كل حالة على حدة ويعالج كل داء بما يصلح من الدواء .

واذا اضطر المربى الى معاقبة الطفل فإن ابن سينا يرى ألا يلجأ الى العقوبة إلا عند الضرورة ، ولا نلجأ الى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء لاحداث الاثر المطلوب فى الطفل .

ويرى ابن سينا : أن التـربية الرقيقة الحانية كثيرا ما تفلـح فى تربية الاطفال على استقامة ونظافة واستواء، ولكن التـربية التى تزيد فى الرقة واللطف والحنو تضر ضررا بالغا لانها تنشىء كيانا ليس له قوام .

ويرى الغزالـى أنه يجب على المـربى أن يعرف نوع المـرض وسن المريـض فى حـالة تأديـب الاطفال وتهذيبهـم ، لان المعلم فـى نظره كالطبيـب لو عـالج جميـع المرضى بعـلاج واحد قتـل أكثرهـم وأمات قلوبهم . ومعنى هـذا فى رأينا أن يعامل كل طفل المعاملـة التى تلائمه ويبحث عن الباعث الذى أدى الـى الخطأ وعن سن المخطىء ويفرق بين الصغير والكبيـر فى التأديب والتهـذيب . ويكون المربـى كالطبيب الماهـر الذى يفحـص عن علـة المرض ويشخـص مرضـه ويصف لـه العلاج الذى يناسبه .

وكان الغزالى ضد الاسراع فى معـاقبة الطفل المخطىء فقد نادى بـاعطائه فـرصـة ليصلـح خطأه بنفســه ، حتـى يحتـرم نفسه ، ويشعـر بالنتيجـة ، ومدحه وتشجيعـه اذا قام بأعمـال حميدة تستحق المكـافأة والتشجيع ، ولم يقل باللوم والزجر والتوبيخ لان التشجيع يدخل السرور علـى النفس فتتشجـع وتتقدم فـى حين أن التـوبيخ يـؤدى الى الحـزن والخوف وقلة الثقة بالنفس .

وكان ابن خلـدون ضد استعمال الشدة والقسوة فى تـربية الاطفال حيث قال :

(من كـان مرباه بـالعسف والقهـر من المتعلمين أو الممـاليك أو الخـدم سطـا به القهـر وضيـق علـى النفـوس فـى انبساطهـا ، وذهـب بنشاطهـا ، ودعاه الى الكســل ، وحمله على الخبـث خوفا مـن انبساط

الايدى بالقهر عليه، وعلى المكر والخديعة ولذلك صارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معانى الانسانية التى له).

وقد أسهب ابن خلدون فى توضيح ما ينشأ من الاثر السيء بسبب القهر واستعمال الشدة والعنف فقال: (ان من يعامل بالقهر يصبح حملا على غيره، اذ هو يصبح عاجزا عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوه من الحماسة والحمية، على حين يقعد عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل. وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى انسانيتها[١].

وقد صدق ابن خلدون فى رأيه، فالقسوة والعنف مع الطفل تعوده الجبن، وتبعده عن الحماسة والشجاعة، وتشعره بالظلم دائما.

وقد لخص ابن خلدون آراء فلاسفة التربية الاسلامية فى التربية والعقوبة حينما اقتبس نصيحة هارون الرشيد لمؤدب ولده الامين، وهو أبو الحسن على بن حمزة الكسائى قال: (ياأحمر، ان أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: اقرئه القرآن، وعرفه الاخبار، ورَوِّه الاشعار، وعلمه الشعر، وبصره بمواقع الكلام وبدئه وأمنعه الضحك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فرصة، تفيده اياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته، فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة).

تعطينا هذه الوثيقة صورة واضحة للمنهج المدرسى الذى كان

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٤ — ٤٩٥.

معروفا فى عصر الرشيد ويتناول هذا المنهج تدريس القرآن الكريم والاخبار والتاريخ ورواية الشعر وتعلمه والنقد الادبى الذى يساعد المتعلم على تذوق الكلام الجيد وانشائه، كذلك يتناول التربية الخلقية.

ويلاحظ أنه رسم لتحقيقها بعض الاساليب العملية. ومن العجب أن تشير هذه الوثيقة الى ما نسميه اليوم النشاط المدرسى، وهو ما يقوم به التلاميذ باشراف المدرس خارج الفصل ويدل على ذلك قول الرشيد (ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فرصة تفيده إياها) ومعنى ذلك أنه لابد أن يستغل الاوقات التى تكون بعد انتهاء الدروس فى الافادة وتقديم بعض الخبرات الجديدة، ثم تشترالوصية أن تكون المعلومات التى تقدم الى الطفل سهلة ملائمة لسنه واستعداده، حتى لايجد صعوبة فى فهمها، فإن المادة الصعبة لايفهمها الطفل، وتؤدى الى حزنه، وعندئذ يتبلد ذهنه.

وقد أقرت الوصية مبدأ اللين والسهولة فى أخذ الاطفال بما يناسبهم، ولكنها فى الوقت نفسه أقرت مبدأ استخدام الحزم فى معاملة الاطفال، فالملاينة ضرورية ولابد منها، ولكن ينبغى الا تصل الى حد التساهل الذى يطلق العنان للاطفال فيميلون الى الفراغ ويحبونه، وبذلك ينصرفون عن العلم وتعليمه، كذلك تقر الوصية فكرة العقوبة، وتؤيدها من حيث المبدأ باعتبارها دافعا من دوافع التعلم، غير أنها تجعل العقاب الشىء الاخير الذى يلجأ إليه المعلم بعد استنفاد جميع وسائل الاخذ باللين.

التربية الاجتماعية :

المقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الطفل منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة. تنبع من العقيدة الاسلامية الخالدة، والشعور بالايمان العميق، ليظهر الطفل في المجتمع على أفضل صورة من حسن التعامل والادب، والاتزان، والعقل الناضج، والتصرف الحكيم.

لهذا، فعلى الآباء والامهات أن يضعوا أمام أعينهم أن البيت أهم مدرسة لتطبيق المبادىء الاجتماعية وتطبيع الافراد تطبيعا اجتماعيا.

وينبغى أن يعلموا ان الشريأتى الى المجتمع من البيت وكذلك الخيريأتى الى المجتمع من البيت وعليهم أن يجعلوا بيوتهم منبع خير لا منبع شر.

وأهم الحقوق الاجتماعية التى يجب أن نرشد الطفل إليها، وننشئه عليها، ونأمره بها، حتى يعتاد عليها ويقوم بآدائها خيرقيام.. هى :

١ — حق الابوين.
٢ — حق الارحام.
٣ — حق الجار.
٤ — حق المعلم.
٥ — حق الصديق.
٦ — حق الكبير.

١ــ حق الأبوين :

جاء التشريع الاسلامى فى هذا الباب بالهدى والنور والحكمة . وقرر فيه حقوقا هى الاساس المتين فى بناء الاسرة واحكام أواصرها . وسن فيه من الآداب ما يسمو بها الى أعلى المراتب الروحية ، ويشد من أزرها برباط من الخلق القويم ، ويعينها على مواجهة الشدائد ، ويكفل لها ما يستطاع من السعادة فى هذا العالم الذى أغرقته المادة ، وطغت فيه الاثرة ، وساده انكار الحقوق والتنكر لذوى المعروف .

فالله جل شأنه يقول فى كتابه المجيد : **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للاوابين غفورا﴾** (الاسراء : ٢٣ ــ ٢٥) .

ولقد تحدث القرآن الكريم عما نال الذى أبر والديه وأحسن معاملتهما من الصفح والغفران من الله وقبول ما عمل من الاعمال الصالحة . فقال تعالى : **﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت إليك وإنى من المسلمين . أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون﴾** (الاحقاف : ١٥ ــ ١٦) .

وقال عز من قائل ﴿ووصينا الانسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله فى عامين، أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير. وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا. واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (لقمان: ١٤ — ١٥).

وقد أشارت الآية الكريمة الى نقطة دقيقة وملحوظة هامة، وهى أن عدم الطاعة لايستلزم قطع الصلة والخصومة، ولهذا قال تعالى: ﴿فلا تطعمها وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾ حتى ولو كانا كافرين فإن عصيانهما لايبطل الاحسان إليهما.

وروى البخارى (فى الادب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (ما من مسلم له والدان مسلمان، يصبح إليهما محتسبا إلا فتح الله له بابين — يعنى الجنة — وان كان واحدا فواحد، وان غضب أحدهما لم يرضى الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وان ظلماه؟ قال: وان ظلماه).

وروى أحمد والنسائى عن معاوية بن جاهمة السلمى أن جاهمة رضى الله عنه أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك، فقال: **هل لك أم؟** قال: نعم. قال: **إلزمها فإن الجنة عند رجليها)**.

ومن البر الدعاء لهما بعد مماتهما واكرام صديقهما. روى البخارى (فى الادب المفرد) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ترفع للميت بعد موته درجته. فيقول: أى ربى أى شىء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك).

وروى أبو داود وابـن ماجه عـن مالك بـن ربيعة قال : بينمـا نحن عند رسـول الله ﷺ جاءه رجل مـن بنى سلمـة ، فقال : يارسـول الله هل بقى على من بـر أبوى شىء أبرهما به بعـد وفاتهما؟ قال : **نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهمـا ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صـديقهما ، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما)** .

ان على المربيـن أن يلقنوا الاولاد هذه الآداب السلوكية مـع آبائهم وأمهـاتهم وهـى : ألا يمشـوا أمامهـم ، وألا ينادونهـم بـأسمائهـم ، وألا يجلسـوا قبلهم وألا يتضجـروا مـن نصائحهـم ، وألا يـأكلـوا من طعـام ينظرون إليه ، وألا يرقوا مكانا عاليا فوقهم ، وألا يخالفوا أمرهم .

قال ﷺ : **(مـا بر أبـاه من سـدد إليه الطـرف بالغضـب)** (مجمع الزوائد جـ ٨) وعن عـائشة رضـى الله عنها قـالت : أتـى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ فقال له : **ياهذا : من الذى معك؟** قال أبى . قال : **فلا تمشى أمامه ، ولاتجلس قبله ولاتدعه باسمه ، ولاتستسبب له)** (مجمع الزوائد : جـ ٨) .

وهكـذا نجد أن الاسـلام قـد وطد العـلاقـة بيـن الآباء والامهـات والأبناء وجعلها صلة قوية ورابطة وثيقة وأضفى عليها القداسة الدينية .

٢ــ حق الأرحام :

الأرحام هـم من يرتبـط بهم الانسان بصلـة القرابة والنسـب ، وهـم على التـرتيب التـالى : الآباء والأمهـات ، والأجداد والجـدات ، والأخوة والأخـوات ، والأعمام والعمـات وأولاد الأخ ، وأولاد الأخت ، والأخـوال

والخالات، ثم من يليهم من الأقرباء، الأقرب فالأقرب.

وهؤلاء سموا فى الشرع أرحاما لسببين:

الأول: لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن. ففى الحديث القدسى الشريف (قال الله عز وجل: **أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم. وشققت لها اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**)[1]. (رواه أبو داود).

الثانى: لانحدار القرابة من الاصل الذى ينتمى إليه الانسان، ولذلك أوصى الاسلام بهم، وفرض لهم الاحسان والصلة، حفظا لرابطة القرابة، وتجميعا لشمل الاسرة وتوسيعا لنطاقها.

وقد بين القرآن الكريم أن قطع صلاتهم من نقض العهد والفساد فى الارض، وتولٍ عن الايمان وتنكب لطريقه، وذلك موجب للعنة والابعاد.

قال الله تعالى: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾** (محمد: ٢٢ — ٢٣) فجفوة الرحم والتنكر لها من امارات مسخ الفطرة وطمس البصيرة.

وصلة الرحم شعار الايمان بالله واليوم الآخر. روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**).

---

(١) الحافظ المنذرى: الترغيب والترهيب جـ٣، ص ٢٢٥.

وصلة الرحم تزيد فى العمر، وتوسع فى الرزق. روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره (يزداد عمره) فليصل رحمه**).

وصلة الرحم تعمر الديار وتثمر الاموال. روى الطبرانى والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ: (**ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الاموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم،** قيل وكيف ذاك يارسول الله؟ قال: **بصلتهم الأرحام**.

وصلة الرحم تغفر الذنب وتكفر الخطايا: روى ابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (أتى النبى ﷺ رجل فقال: انى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبتة؟ فقال: **هل لك أم**؟ قال: لا قال: **فهل لك من خالة**؟ قال نعم: قال: **فبرها**).

وصلة الرحم تدخل صاحبها الجنة روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته. قالوا: وما هى يارسول الله بأبى أنت وأمى، قال: تعطى من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة**).

٣ـــ حق الجار:

الجار هو كل مجاور لك عن اليمين والشمال، والفوق والتحت، الى أربعين دارا. روى الطبرانى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يارسول الله إنى نزلت فى محلة بنى

فلان، وان أشدهم الى أذى أقربهم الى جوارا. فبعث رسول ﷺ أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم يأتون المسجد، فيقومون على بابه، فيصيحون: الا أن أربعين دارا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه (شروره).

وحقوق الجار — فى الاسلام — هى ألا يلحق الرجل بجاره أذى، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح.

روى الطبرانى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال (**من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (شروره) أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، واذا استقرضك أقرضته، واذا افتقر عدت عليه، واذا مرض عدته، واذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده**).

وقد عد الرسول الكريم إكرام الجار فى خصال الايمان فقال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**) (الشيخان).

٤— حق المعلم:

المعلم هو الأب الروحى للمتعلم، وهو الذى يقوم بتغذية النفس بالعلم، وتهذيب الاخلاق وتقويمها، فتبجيله واجب لابد منه حتى ينشأ الطفل على الادب الاجتماعى الرفيع تجاه من له عليه حق التعليم

والتوجيه والتـربية . ولاسيما اذا كان المعلـم يتصف بـالصلاح ، ويتسم بالتقوى ، ويتميز بمكارم الاخلاق .

روى أحمـد والحاكـم عن عبـادة بن الصـامت أن رسـول الله ﷺ قال : **(ليس مـن أمتى مـن لم يجل كبيـرنا ، ويرحـم صغيرنـا ، ويعرف لعالمنا حقه)** .

وروى الطبرانى فى الاوسط عن أبى هـريرة رضى الله عنه قال (قال رسـول الله ﷺ : **تعلمـوا العلـم . وتعلمـوا للعلـم السكينـة والـوقـار، وتواضعوا لمن تعلمون منه)** .

ومن الواجبات التى يجب أن يعمل بها كل طالب ما يلى :

١ — أن يتواضـع لمعلمه ، وأن ينظر إليـه بعين الاجـلال ، ويعتقد فيه درجة الكمال ، فإن ذلك أقرب الى الاستفادة منه ، والنفع به .

٢ — أن يعرف الطالـب لمعلمه حقه ، ويعمل علـى ارضائه بكل وسيلة من الوسائل .

٣ — ألا يضايق معلمـه بكثرة الاسئلة ، ولا يعنته فـى الجواب ، ولا يمشى أمامه ، ولا يجلس مكانه .

٤ — أن يبدأ الطـالـب معلمه بالسـلام ، ويقلل بين يديـه الكلام ، ولا يقول له : قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يسأل جليسه فى مجلسه .

وللمعلم منزلة سامية مقدسـة ، وعليه واجبات تلائم مكانته . وقد لخص أبـو شامة الشـافعى فى كتـابه (مجمـوعة الرسـائل) آداب معلم الصبيان فيما يلى :

(يبـدأ بـإصلاح نفسـه ، فـإن أعينهـم إليـه نـاظرة ، وآذانهـم إليـه مصغية ، فما استحسنه فهـو عندهم الحسن ، وما استقبحه فهـو عندهم

القبيح، ويلزم الصمت فى جلسته، ويكون معظم تأديبه بالرغبة، ولا يكثر الضرب والتعذيب ولا يمازح بين أيديهم أحدا، ويقبح عندهم الغيبة، ويوحش عندهم الكذب والنميمة).

٥ — حق الصديق :

من الامور الهامة التى يجب أن يلحظها المربون اختيار الصديق المؤمن والجليس الصالح لما له من تأثير كبير فى استقامة الولد، وصلاح أمره، وتقويم أخلاقه.

روى البخارى ومسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كمثل حامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) أو تشترى منه، أو تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحا منتنة**).

وروى الترمذى وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام: (**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**).

من هذا وجب على المربى أن يختار للولد — ولاسيما بعد أن يبلغ سن التمييز — أن يختار له الزمرة الصالحة من سنه، يختلط بهم، ويلهو معهم، ويدرس واياهم، ويتفقدهم بالزيارة، ويعودهم اذا مرضوا — ويقدم لهم الهدية اذا نجحوا، ويذكرهم اذا نسوا، ويعينهم اذا احتاجوا، وهذا ينمى فى الولد النزعة الاجتماعية التى فطر عليها، ويجعل منه فى المستقبل رجلا متوازنا سويا يؤدى حق المجتمع على الوجه الصحيح الذى يرضى الله تعالى.

٦ــ حق الكبير :

الكبير هو من كـان أكبر منك سنا ، وأكثر منك علمـا ، وأرفع تقوى ودينا ، وأسمى جاها ومنزلة .

وهؤلاء ان كانوا مخلصين لدينهم ، معتزين بشريعة ربهم ، فيجب على الناس أن يعرفوا لهم فضلهم ، ويـؤدوا لهم حقم ، ويقوموا بواجب احترامهم امتثـالا لامر النبى ﷺ الذى عرف المجتمـع فضلهم ، وأوجب على الناس حقهم .

التزام الآداب الاجتماعية العامة:

أدب الطعام :

أمـر الإسلام بـاتباع الأدب والسلـوك الحسن عنـد تناول الطعـام . واني أشيـر في هذا الصـدد إلى أحاديـث الرسـول الكريم التـي فصلت تقاليـد الحياة الإسـلامية كما كـان يحياها النبـي عليه الصـلاة والسلام ومنها تتضح التعاليم الآتية :

تغسل اليدان والفم قبل الأكل وبعـده . وإذا ما دعي شخص إلى طعام فعليه ألا يـرفضه وعلى المرء إذا أكـل في جماعة أن يـرعى غيره . وعلى المضيـف أن يصحب ضيفه إلى بـاب المنزل ويودعـه . والأكل مع الجمـاعة خيـر من أكل المنفـرد لأنه يعود علـى الحياة الإجتمـاعية ويجب ألا يميـز في الطعـام بين مايقـدم للسيد وغيـره . وهذا يشيـر إلى المساواة الإنسـانية ورعايـة جانب الآخـرين يشملان جميـع المجالات

حتى مجال الطعام والشراب وذلك شاهد على أن الإسلام يلقي بضوئه إلى جميع زوايا حياتنا المادية ويرفعنا عن مستوى نزعاتنا الأنانية الرخيصة.

أدب الاستئذان :

من الآداب الاجتماعية الاستئذان. وللاستئذان آداب فعلى المربي أن يرسخها في الطفل، ويعلمها إياه أمتثالاً لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ (النور: ٥٨-٥٩).

يأمر الله تعالى الآباء في هذا النص القرآني أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ إلى أن يستأذنوا على أهلهم قبل صلاة الفجر، وبعد صلاة العشاء، وحينما يأوى الأزواج إلى مخادعهم عند الظهيرة، ويتخففون من ثيابهم. وقد شرع الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة لما يخشى أن يكون الرجل أو المرأة في حالة لا يحب أن يطلع عليها أحد من أولاده الصغار.

أما إذا بلغ الأطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها. يقول الله تعالى:

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلكم﴾. (النور: ٥٩).

وقد حفظ الله تعالى على البيوت حرمتها فقال عز وجل: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون. فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾(النور: ٢٧-٢٨).

وحدد طريقة الاستئذان، فقال الرسول الكريم: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع».

فلا ينبغي للزائر أن يدق الباب أو الجرس أكثر من ثلاث مرات، كما حرم الرسول ﷺ النظر إلى البيوت من الخارج حتى لا يطلع على حرمتها وأسرارها فقال عليه الصلاة والسلام: «من نظر إلى بيت أحدكم من هوة فيه فأخذت حصاة فحذفته ففقأت عينه فلا جناح عليك».

تربية الجسم:

جسم كل إنسان هو آلته التي يستعملها في الحركة والعمل والسعي والضرب في الأرض والسياحة والجهاد في كل نواحي الحياة.

وإذا كان الجسم عليلاً حد من الحركة والعمل، ولذلك حرص الإسلام حرصاً شديداً على أن ينمو الطفل نمواً سليماً. يقول الله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ (البقرة: ٢٣٣).

يقول الدكتور الكسيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» إنه يهيب بالأمهات أن يؤدين ماخلقن له فإن لبن الأم حق طبيعي للطفل.

وقد ثبت في الاحصاء الطبي أن عدد الوفيات في الأطفال الذين يرضعون بطرق صناعية عشرة أضعاف عدد الوفيات في الذين يرضعون رضاعة طبيعية. ولانريد هنا أن ندخل في تفصيلات علمية دقيقة، بل يكفي أن تقرر أن ميزة اللبن الطبيعي على اللبن الصناعي لا يمكن أن تعوض بحال.

ويقول الدكتور «شرملر» الأخصائي الأمريكي في أمراض النساء والولادة أن هناك نتيجة أخرى للرضاعة. فكثير من الأمهات قد أعلن أن الرضاعة تشيع في نفوسهن احساسات سارة جزءاً هاماً من العلاقة بين الأم وطفلها الرضيع. ومن رأي الدكتور «نيلز نيوتن» من أن المعاهد والأطباء يجب أن تكف عن التوسع في أساليب الرضاعة الصناعية، وإلا تثبط همم الأمهات الشابات في ارضاع أبنائهن وحينئذ تصبح لدينا أمهات سعيدات وأطفال أصحاء.

عني الإسلام بالصحة البدنية، والآيات التي تدعو إلى العناية بالجسم غذاء ولباساً واسترواحاً كثيرة واردة في القرآن المجيد، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون. قل إنما حرم ربي الفواحش

ماظهر منها ومابطن والاثم بغير الحق، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾ (الأعراف: ٣١-٣٣).

ومن أوليات الصحة النظافة. وقد ندب الله تعالى إليها فقال جل شأنه: **﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾** (التوبة: ١٠٨).

وفرض الإسلام على الرجال والنساء الاستحمام من الجنابة. وخص النساء بوجوب الاستحمام من الطمث أيضاً. قال تعالى: **﴿يسألونك عن المحيض، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** (البقرة: ٢٢٢). وشرط لصحة الصلاة الوضوء. قال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا. وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾** (المائدة: ٦).

والوضوء من أجمع وسائل النظافة، وأعودها على صحة الأبدان بالفوائد الجليلة. فإن الأتربة التي تتصاعد في الجو تحتوي على كثير من جراثيم الأمراض، فتثبت في حوافي الجفنين، فتصيب العينين بالأرماد المنوعة، وتتسرب إلى الأنف والحلق فتكون سبباً في أمراضهما المختلفة وتندس إلى الأذن فتحدث فيها آفات السمع.

وتتخلل بقايا الأطعمة ثنايا الفم فتتوالد فيه جراثيم مرضية. فالوضوء يقي المسلمين والمسلمات من هذه العوارض كلها، فإنه يبدأ بغسل اليدين، والمضمضة وتطهير الأنف باستنشاق الماء ونثره، وبغسل الوجه، وفيه العينان ويلي ذلك غسل الذراعين إلى المرفقين. وهو أقصى مايتحمل أن تصل إليه الأوساخ من الخارج، ويجيء بعده مسح الرأس والأذنين من الداخل والخارج، ومسح العنق، وغسل الرجلين، فيتم بذلك للإنسان القيام بعمل صحي أصبح العلم الحديث يندب إليه الناس وقاية من الأمراض الثقيلة.

وسن الإسلام سنة الاعتدال في كل شيء: الاعتدال في التغذي: ﴿**وكلوا واشربوا ولاتسرفوا**﴾ (الأعراف: ٣١).

الاعتدال في الانفاق ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ (الفرقان: ٦٧).

وعلى هذا الأصل المكين بني الرخص في العبادات، فقصر الصلوات في السفر، وقرر أن يجزيء الناس من أعمال الصلاة مايستطيعون عمله مراعاة لحالتهم فقبل أن يصلوا جلوساً، فإن لم يستطيعوا فمضطجعين، فإن لم يستطيعوا فبالايماء على أي وضع كانوا، فإن عجزوا عن قراءة آية من القرآن سقطت عنهم مراعاة للتيسير عليهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر**﴾(البقرة: ١٨٥)، ورخص للمرضى والمسافرين أن يفطروا في شهر رمضان، على أن يقضوا في زمن صحتهم الأيام التي فطروا فيها.

وحرم أن يأكل المسلم ما قد يصاب من جراء تناوله بأمراض خطيرة، كأكل الميتة والدم ولحم المواشي المصابة بجروح أو

المخنوقة. قال تعالى: ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاما ذكيتم وما ذبح على النصب**﴾(المائدة: ٣).

والميتة هنا هي الحيوان غير المذبوح الذي يموت من تلقاء نفسه بأي مرض من الأمراض، أو بالشيخوخة أو بحادثة من الحوادث والوأد والتردي وغيرها وبعد الوفاة بفترة قصيرة تبدأ عملية التعفن وتتكاثر أول الأمر الجراثيم غير الهوائية التي توجد طبيعية في أمعاء الحيوان فتغزو الجسم عن طريق الأغشية والأوعية الدموية والليمفاوية، ومن المواد التي تنتج من التعفن ماهو سام في مفعوله وذلك لما تنقله من أمراض قد تكون هي السبب في وفاة الحيوان أو لما تحدثه من حالات التسمم الغذائي الذي ينتج من مخلفات عملية التعفن ومن الأمراض الكثيرة الفتاكة التي لايتسع المجال لتفصيلها مثل مرض السل وهو كثير الانتشار وينتقل إلى الإنسان من جراء تناول اللحوم الميتة في أغلب الأحيان.

ومن المقرر طبياً أن الدم هو أصلح الأوساط لنمو شتى الجراثيم كما أنه أيضاً يحمل مخلفات الجسم التي تنتج عن الفعل الهدمي في الأنسجة المختلفة ويحتوي الدم إلى جانب ذلك على الكثير من المواد السامة التي يعمل الكبد على تخليص الجسم منها.

الخنزير هو العائل الوسيط لدودة «التينياسوليم» وهي تنتقل إلى الإنسان بأكل لحم الخنزير وهذه الدودة من أشد الديدان فتكاً بالإنسان.

وينقل الخنزير أيضاً مرض «التريخيتا» ولا يمكن الكشف عنه إلاَّ إذا فحصت جميع ألياف عضلات الخنزير قطعة بواسطة المجهر وهذا

طبعاً أمر غير ممكن. كما ينقل الخنزير عن طريق تناول لحمه مرض الباراتيفويد» وغير ذلك من الأمراض الكثيرة الفتاكة.

وحرم القرآن شرب الخمر. قال تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾ (المائدة: ٩٠). كشف العلم الحديث النقاب عن الكثير من الأضرار التي لحقت ومازالت تلحق بالبشرية، من جراء تناول الخمر، وكان تحريم الخمر في القرآن ليس فقط معجزة في الطب بل أيضاً معجزة في علم الاجتماع ومعجزة في علم النفس.

لقد أثبت الطب أن خلايا الكبد تتحول إلى ألياف ميتة لا فائدة للجسم منها فتؤدي إلى استسقاء في البطن يورد المريض في النهاية موارد الهلاك والفناء. كما يؤدي إدمان الخمر إلى تصلب الشرايين وما يتبع ذلك من أمراض القلب والكلى والنزيف المخي. كما يؤثر على الجهاز العصبي تأثيراً بالغاً إذ يزول حكم المخ على الأشياء زوالاً تدريجياً فينتقل الشخص من المرتبة الإنسانية إلى حضيض البهيمية، وإذا استمر الادمان ضعفت المدارك الحسية والعقلية إلى أن يصل دور الجنون أو الشلل.

ويكفي أن العلم قد كشف النقاب عن قتل الخمر للعواطف الإنسانية السامية كالحنان والعطف والأبوة والواجب.

وإذا كان الإسلام قد حرم التغذي بالدم، والميتة، ولحم الخنزير، وماذبح لغير الله، والخمر، فقد استثنى من ذلك من يدفعه الاضطرار إلى تناول شيء منه محافظة على حياته فقال تعالى: ﴿**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم**﴾ (البقرة: ١٧٣).

ولما كانت الرياضة البدنيــة ضرورية لبناء الجسم وتهذيب النفس والسمو بـالخلق وتكويــن الشخصية ، وعامـلاً جوهـرياً في حيـاة الأمم وإقـامة صـرح مجدهـا ورقيها فقـد حـض الإسلام عليهـا ودعا إليهـا . والمتأمـل في كثير مـن التعاليـم الإسلامية يجـد أنها قائمـة على تقـوية الروح والجسد .

قال ﷺ «**ان لبدنك عليك حقاً**» .

وعن أبـي هريرة رضـي الله عنه قال . قـال رسول الله ﷺ «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**» (رواه مسلم) .

وقـال تعالـى في وصـف المؤمنيـن ﴿**ومثلهم فـي الإنجيل كـزرع أخرج شطـأه فآزره فاستغلـظ فاستوى على سـوقه يعجب الـزراع ليغيظ بهم الكفار**﴾ (الفتح : ٢٩) .

ودعا القـرآن الكريم إلى القـوة وحبب إليها أن القوة مـن عطاء الله تعالى ﴿**ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبـوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ، ولا تتولوا مجرمين**﴾ (هود : ٥٢) .

وأنها من الميزات التي يتميز بها الإنسان : ﴿**إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾ (القصص : ٢٦) .

كان الـرسول الكريـم يهتم بالريـاضة البدنيـة ويدعو إليهـا . يقول الرسول : «**حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتـابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً**» لأن هذه هي مقـومات الشخص السليم الـذي يصلح أن يكون لبنـة طيبة في كيـان أمة عظيمة لتنهض بـأداء الواجب المنـوط بها في هذه الحياة .

وقد حض الرسول ﷺ على الفروسية والرمي فقال :

-(**أحب اللهو إلى الله تعالى إجراء الخيل والرمي**[1])-

وفسر الرسول المأمور باعدادها في قوله تعالى : ﴿**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ (الأنفال : ٦٠) بأنها الرمي فقال عليه الصلاة والسلام «**ألاان القوة الرمي ، ألاان القوة الرمي**» .

كما أوصى الرسول الكريم بتعلم السباحة فهي من طرق انقاذ الغرقى ، واستخراج ما في قاع البحر من المعادن التي تعظم وجوه الانتفاع بها ، ومران على الجهاد البحري ، وهي في الوقت نفسه ترويض لأعضاء الجسم كله ، وهي باطلاقها تشكل حركة الجسم في الماء والتجديف وسائر ماعرف من أنواعها في هذه الأيام .

ومن المعلوم أن المشي من أهم أنواع الرياضة ، ولذلك ورد أن الرسول الكريم لما دخل الكعبة بعد صلح الحديبية وقف المشركون ينظرون إليه وإلى أصحابه ويقولون في شماتة هؤلاء قوم أنهكتهم حمى يثرب فلن يستطيعوا الطواف بالكعبة . وبلغت الكلمة إلى مسامع الرسول فقال لأصحابه : رحم الله امرأ أرى القوم من نفسه اليوم قوة . ثم هرول في مشيه دليلاً على القوة ومظهراً من مظاهر سلامة الجسم وورد أن النبي ﷺ كان يرى أصحابه يتسابقون على الاقدام «الجري» ويقرهم عليه .

وقد وردت أيضاً المبارزة «اللعب بالحراب» . . « الشيش» رواه البخاري عن أبي هريرة قال : بينما الحبشة يلعبون بحرابهم عند النبي ﷺ في المسجد دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنكر عليهم لعبهم بالحراب في المسجد فقال النبي : دعهم ياعمر.

---

(١) مجموعة فتاوي ابن تيمية ٢٨-٦ .

قال الـرسول ذلك لأن المسجد مـوضوع لأمن جماعـة المسلمين فما كان مـن الأعمال يجمع بين منفعة الـدين وأهله فهو جـائز فيه مباح بين جدرانه .

وقد تضافرت الروايات على قرار هـذه الأنواع من الرياضة البدنية ، الرمـي والسباحـة والمسابقـة على الاقـدام «الجري» والمسـابقة علـى الخيل والابل والمصارعة واللعب بالحراب «الشيش» .

وكان الصحابـة رضوان الله عليهم يقتدون بـالرسول الكريـم فكان عمر بـن الخطاب رضي الله عنه يحـب ركوب الخيل ويستطيـع أن يقفز على الحصان دون أن يمسـك بشيء . وكان الامام على بن أبـي طالب لا يدركه مدرك فـي العدو . وكان طلحة والزبير من أشـد المصارعين في المسلمين وغيرهم كثير . وحكاية عمـر بن الخطاب مع الشاب الناسك الذي مر به وقـد أحنى قامته وطأطأ رأسه علامـة الخشوع والتبتل فحمل عليه عمـر وضربه وقـال له : ارفع رأسك وأصلـح قامتك لا تمـت علينا ديننا أماتك الله . دليل قوي على أن الرياضة البدنية من شعائر الإسلام .



الخاتمة

في الصفحات السابقة تحدثنا عن منهج الإسلام في العناية بالطفل ورعايته، وهو منهج واضح بين. . ومادته خصبة موفورة، وستبقى هذه المادة بوفرتها وخصبها، وجلالها مادام في الدنيا قرآن يتلى، وسنة تروى.

ولقد جاءت هذه المادة لتصوغ الطفل قلباً وروحاً، وخلقاً وسلوكاً، صياغة تجعله يحلق في الأفق الأعلى، وتحيله إلى صورة حية لآيات القرآن وخلق الرسول، صياغة تجعله طاقة كونية فعالة مهيمنة وموجهة لكل شيء. . طاقة عزيزة أبية لاتذل ولاتضعف، ولا تهن ولاتجبن، تواجه الأحداث في ثقة، وتجاهد في قوة، وترفع رأسها في عزة ولاتستسلم لرهبة أو رغبة.

يحدثنا «هوكنج» أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية في كتابه «روح السياسة العالمية» عن خصوبة المنهج التربوي في الإسلام واتساعه لكل ماتتسع له الحياة العامة. فيقول (إني أشعر بأني على حق حين أقرر بأن في الشريعة الإسلامية كل المباديء اللازمة للنهوض بالحياة).

وقد طبق هذا المنهج فأنشأ أجيالاً صالحة، مؤمنة بربها وبنفسها، وبقيمها في الحياة وكانت هذه الأجيال نماذج تحتذى في مثاليتها وثقافتها، ومركزها الأدبي في الحياة. لقد تخرج في مدرسة

النبوة رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، كانوا قمماً شواهق في النبل والفضل، وكانوا أمل الدنيا في العدل والانصاف. وكانوا مثلاً يحتذى في السلم والحرب، وكانوا أعلاماً خفاقة في الثقافة والعلم.

كانت أوربا تتخبط في دياجير الظلام، وتسبح في بحار الجهل، وكانت امتنا الإسلامية قد وصلت بمناهج الوحي الالهي، إلى ذروة المجد، وقمة الحضارة، وتخرج في جامعاتها الأطباء والرياضيون والفلكيون والفلاسفة وعلماء الجبر والمنطق. يقول الكاتب الانجليزي «ميور» في كتابه «حياة محمد» (امتاز محمد بوضوح كلامه. ويسر دينه وقد أتم من الأعمال مايدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ العقول، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد «ﷺ»).

إن الإسلام من بين الأديان كلها هو الدين الذي يسند الحياة من كل جوانبها ويقيم عماداً قوياً يرتفع بها. وليس هناك شهادة أكثر صراحة في الحديث عن القيم الأخلاقية الإسلامية من تلك التي أعلنها مؤلفو دائرة معارف «تشامير» التي جاء فيها: (إن أهم التعاليم الإسلامية التي تكشف عن عظمة العقل الذي جاء بها هو النظام الأخلاقي القرآني. ولا تحصر سورة أو اثنتان أو ثلاث كل هذه التعاليم ولكنها تنتشر في القرآن كله كالخيط الذهبي الذي يتخلل نسيج الثوب.

والقرآن يعتبر الظلم والكذب والحقد والنميمة والسخرية بالغير والبخل والتبذير والفجور والشك في الناس من الرذائل التي لا يرضاها الله.

أما الاحسان والكرم والحياء والاحتمال والصبر والاعتدال والاخلاص والاستقامة وحب الحق والسلام والإيمان بالله واحد

والخضوع له. كل هذه الصفات هي أعمدة الحياة النقية والعلامة التي يتميز بها المؤمن الحق).

هذه شهادة محايدة تحمل على الاعتراف بما في القرآن من نظم أخلاقية مثالية يمكن أن توفر على العقل والعلم المجهود الكبير الذي يبذلانه في ابتكار قوانين أخلاقية لن تبلغ في وضوحها ومثاليتها مبلغ القوانين المنزلة.

وفي هذا العصر بلغ الرقي المادي شأناً عظيماً، ولكنه لم يجلب للإنسان إلا الشقاء فماتزال الشعوب مغلوبة على أمرها، تفترسها الدول القوية، وبدلاً من أن يجد العالم نفسه في أوج كماله تبعاً لخطواته المادية العظيمة وجد نفسه مايزال يتخبط في الظلام.

ومن ثم رأينا عدداً كبيراً جداً من الأطفال. لاسيما في البلدان النامية يعانون نقص التغذية، ولا سبيل لهم إلى الحصول على الخدمات الصحية المناسبة، ويفتقرون إلى الاعداد التعليمي الأساسي لمستقبلهم، ويحرمون من المتع الأساسية في الحياة.

اهتمت الأمم المتحدة بهذه المشكلة ودرست أوضاع الطفل قانوناً واجتماعاً وثقافة ورسم خطط واصدار قرارات وقوانين لتصبح هذه الأوضاع كلها محققة أمل الأمم في طفولة سعيدة هي رسول السلام العالمي في المستقبل. وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩ على اعلان حقوق الطفل.

وفي سنة ١٩٧٩ أعلنت الأمم المتحدة عن قلقها العميق من أن مايقرب من نصف أطفال العالم يعانون نقصاً في الغذاء وفقراً أو انعداماً في الرعاية الصحية (وقاية وعلاجاً) وحرماناً من التعليم الأساسي (وهو

حق كل مواطـن) وناشدت جميع البلدان على إعادة النظـر في برامجها للنهوض برفاهية الطفل وعلى تهيئة الـدعم اللازم لبرامج العمل الوطنية والمحلية وفقاً لظروف كل بلد واحتياجاته وأولوياته).

وفي سنة ١٩٨٧ وجهت منظمة الصحة العالمية رسالة إلى العالم كله في العام العالمي لإعلان حقـوق الطفل قالت فيها: (إن الاستثمار في صحة الطفـل والأم يعد مدخلاً مبـاشراً لتحسين التنمية الاجتمـاعية والانتاجيـة وتوجيـه الحياة الأفضـل. وتعد العنـاية بـالطفل فـي عصر الذروة والكمبيـوتر من أهم أولـويات العمل الـوطني فالفرد هـو الأساس في عمليـة التنمية وغـايتها النهائيـة، ومن هنا فـإن تحقيق هـذا الهدف يستدعـي توفيـر أحسن سبل الـرعايـة لأطفالنا وأفضـل وسائل التـوجيه وخاصـة في مراحل العمـر المبكرة والتي تشكـل من خلالها مجمـوعة القيم الاجتمـاعية الـدينية والفكـرية والنفسيـة، ومن هنـا فإن الـرعايـة الصحية للطفل يجـب أن تبدأ فور ولادته علـى أن تسبقها رعاية منـاسبة إبـان فترة الحمـل والولادة. ثـم يعقـب ذلك اهتمـام كبيـر بالـرضاعـة الطبيعية لما لها من أهمية كبيرة في حياة الطفل حديث الولادة).

إن الهـدف من الاعـلان العالمـي لحقوق الطفـل هو ان يستطيـع الطفل أن يحيـا بكل معـاني الحيـاة وأن يدفـع في المستقبـل القريـب بعجلة التقدم في وطنـه وفي العالم كله من أجـل تحقيق مجتمع يسوده الحق والعدل وترفرف عليه رايات المحبة والسلام.

فهل يـاترى تحقـق الهدف مـن هذا الإعـلان؟ وهل سـارت عليه حتـى الدول المـوقعة عليـه ووضعـت خطة لتنميـة الدول المتخلفـة أو النـاميـة للحـد من مناطق جذب الأقوياء للاستيلاء على الموارد الخام في مواقعها المختلفـة لدى الدول المتخلفة فتزداد بذلـك ضعفاً؟ وهل

أفاد هذا الاعلان الطفل حقاً؟

إن مجرد اهتمام العالم بالاحتفال بذكرى هذا الاعلان، وحرص الدول على الاشادة به، لهو الدليل القاطع على أن حقوق الطفل في خطر، وأن هذه الاحتفالات إنما هي محاولات لجعل هذا الاعلان حقيقة.. ولكن هيهات!!

فهل هذا الاعلان - كما يقول البعض - هو أول وثيقة تحمل اعلان حقوق الطفل حقاً؟ أياً كانت نتائجه؟

إذا رجعنا قبل تاريخ هذا الاعلان بأكثر من ألف واربعمائة عام نجد وثيقة حقوق الطفل.. الوثيقة الأولى والأخيرة.. التي قررت الحقوق الكاملة للطفل في كل ناحية من نواحيه وضمنتها له، فهي حقاً الوثيقة الأولى إذ لم يسبق أن عرف الطفل مثلها، لأنها تضمنت كافة حقوقه.

والأخيرة لأنها نزلت في كتاب الأنبياء وخاتم المرسلين محمد ﷺ فقد نزل القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً متضمناً حقوق الطفل كما لم يستطع أن يصل إلى تخيلها أي مصلح أو داعية. والفارق بينه وبين أي إعلان آخر عن حقوق الطفل هو فارق بين المصدرين: السماء والأرض، الخالق والعبد، إلى أنها قامت وتحققت وغيرها مداد على ورق. إن الواجب علينا أن نقوم بتعريف الناس بحقوق الطفل في الإسلام. وقد كتب الله علينا الجهاد في سبيل الإسلام. وكان الجهاد أساساً، ومايزال، في نشر الدعوة إلى الإسلام حتى تبلغ كل الناس ليؤمنوا أو ليتصالحوا على أي أساس فيما عدا الشرك بالله.

إن هذا التعريف يحتاج إلى جهاد كجهاد الأجداد يوم خرجوا من جزيرتهم العربية ومن أحضان أمهات مؤمنات ينشرون الدعوة وأرواحهم على كفوفهم لا يبتغون إلا مرضاة الله جل شأنه. وليخرجوا الناس- بإذن ربهم- من الظلمات إلى النور.

المحتوى